الروايات الرومانسية

ورطة مع السعادة

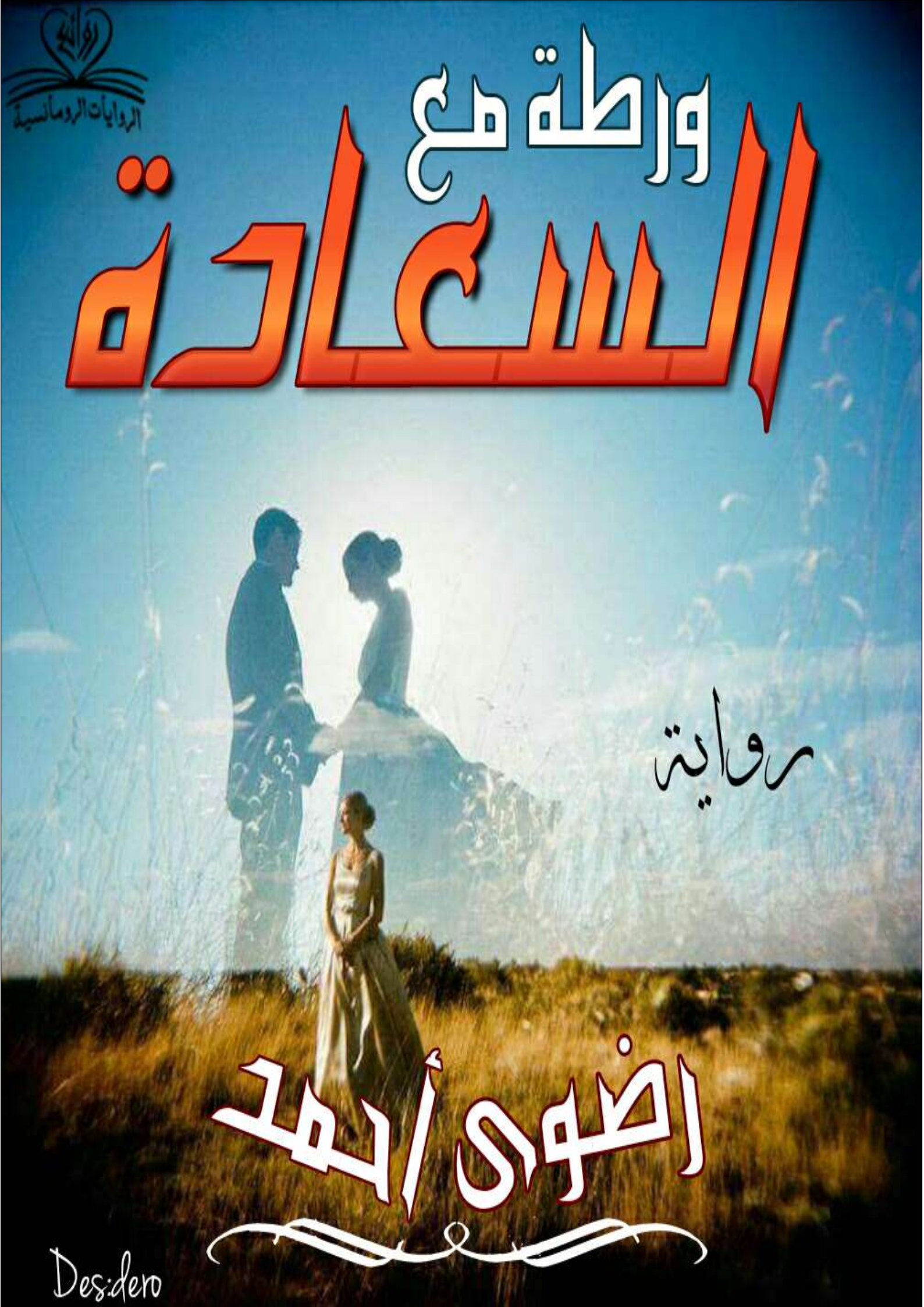

رواية

رضوى أحمد

Des:dero

رضوى أحمر

رواية

روطة مع السعادة

بقلم: رضوى أحمد

تدقيق: حنين أحمد

تصميم غلاف: هُدير مجدي

تصميم داخلي: بدور السالمي

تعبئة: حنين أحمد

رابط تحميل: خلق حماد

الفصل الأول

وأخيرا.. أغلقت باب شقتها بعد يوم طويل وشاق وقفت خلاله طوال ساعات حتى انتهى فنيّو التركيب من تركيب تلك الآلات التي طلبتها لتجهيز عيادتها الخاصة.. هي لا تصدق أنها انتهت أخيرا من تجهيزها وفي سبيلها للإعلان عن بدء العمل فيها قريبا ..

هي مازالت لا تصدق من الأساس أنها عادت لبلدها أخيراً بعد غربة دامت ثماني سنوات قضتها بالخارج تعمل بأحد البلدان العربية ..

تنهدت براحة وسارت مبتعدة عن الباب لتسير في الممر الطويل الذي يفضي بها لغرف المنزل الأربعة.. فتحت الأنوار وجالت بعينيها في أرجاء كل غرفة.. ابتسمت بسعادة وهي ترى بداية حلمها قد تحقق ..

والخطوة القادمة هي الإعلان عن عيادتها بالشكل اللائق وانتظار المرضى.. وأيضاً عليها ألا تنسى تعيين إحدى العاملات لتستقبل المكالمات وتنظم مواعيد العيادة ..

توجهت وهي تفرد يديها على اتساعهما للحمام ممنّية نفسها بحمام ساخن يطرد إرهاق اليوم الطويل ..

خرجت من الحمام أكثر انتعاشا.. توجهت للحجرة التي قررت تحويلها لغرفة نومها واندست تحت الأغطية وأمسكت بمحول القنوات تبحث عن فيلم يجذبها لتتابعه وهي تمد يدها لأحد الأدراج تتناول إحدى ألواح الشوكولاتة التي تعشقها.. نظرت إليها بمحبة وبدأت بالتهامها باستمتاع عجيب وهي لا تزال تقلب في قنوات التلفاز حتى وجدت أخيرا ما تتابعه فوضعت محول القنوات جانباً وبدأت فى التركيز ومتابعة أحداث الفيلم ..

لم يطل تركيزها أكثر من بضع دقائق.. فعقلها جذب أفكارها وخواطرها لاتجاه آخر تماماً..

قفزت صورة أبويها للذاكرة .. كم تتمنى لو أنهما لازالا على قيد الحياة حتى تتمتع بمحبتهما التب افتقدتها كثيراً في غربتها المفروضة عليها من أجلهما .. من أجل حياة أفضل لهما ولأختها الوحيدة التي كان عليها إعالتها ..

تخرجت من كلية طب العلاج الطبيعي والتي اختارتها رغم حصولها على مجموع يؤهلها لدخول كلية الطب البشري فقط لانها علمت ان الدراسة بتلك الكلية خمس سنوات وفي النهاية .. هى تحمل لقب طبيبة كما تمنى والدها دائما اختارتها حتى لا تثقل على أبيها ذاك العامل البسيط والذي كان مرتبه المتواضع يكفيهم بالكاد ..

تخرجت بالضالين.. وماهى إلا فترة قليلة حتى أنهك أبيها المرض وتقاعد مخلفاً حمل البيت ومطالبه التي لا تنتهي على عاتقها.. ابنته الكبرى التي كان يعتبرها دوما عمود البيت ..

كان دوما ما يفخر أنه أنجب صبية تحمل في عروقها عزم أعتى الرجال .. وهي آمنت بما كان دوماً يفخر به .. وقررت أن تكون رجل البيت وعموده فقررت أن تنسى أنها أنثى وتتذكر شيئا واحدا فقط، هو ذاك العزم الذي يدّعي أبوها أنها تملكه ولم تخيب ظنه يوماً..

فها هي على مشارف الرابعة والثلاثين من عمرها ولازالت وحيدة بلا زوج ولا حياة عائلية، بلا رجل في حياتها التي ما عدمت وجودهم بها لكنها عدمت بقاءهم فيها، ولعب دور البطولة في لياليها وأيامها ..

أو التسلل حتى لأحلامها ليكونوا ولو لساعات جزء منها ..

لا تعلم أين يكمن العيب؟!

هل يكمن بها أم بهم؟ أم بالظروف التي جمعتها بهم ؟!

هل نسيت بحق أنها أنثى تحتاج لرجل تُكمل معه مسيرة حياتها؟! أم أن الرجال قد أدركوا بفطرتهم أنها ما عادت بحاجة لهم وأنها كفيلة بإدارة حياتها بلا عون من أحدهم

فذهبوا ليبحثوا عن أنثى حقيقية تحتاج دعمهم وتتقبله شاكرة ؟!

على أية حال ما عادت معرفة السبب تهم .. فقد أصبحت بالفعل غير قابلة للدعم، غير راغبة فيه، مكتفية تماماً بحياتها وعالمها ..

قضمت قطعة أكبر من قالب الشوكولاتة وهي لاتزال سارحة في أفكارها تدّعي متابعة الفيلم المعروض على الشاشة قبالتها وعقلها يجبرها على عرض شريط الذكريات بكل تفاصيله .. وابتسمت في سخرية عندما قفزت إلى مخيلتها تلك الذكرى الوحيدة للمحاولة اليتيمة التي سمحت بدخول جنس الرجال لمحيطها الشائك ..

ويا ليتها لم تسمح!!

تذكرت كيف جذبها بأخلاقه العالية وتعامله الراقي مع المرضى، كان طبيبا زميلا لها في ذاك المشفى الذي عملت به في غربتها ..

ظهر فجأة من العدم! ففى صباح ما سمعت الممرضات يتحدثن عن ذاك الطبيب الجديد الذي وفد للمشفى منذ ساعات ..أحدث وصوله انقلاباً في ساحات المشفى لدرجة جعلتها تشعر بالاشمئزاز من تفاهة الممرضات اللائي كان الحديث عنه يشغل حيزا لا يستهان به من ثرثراتهن المعتادة عن الأطباء وكل ما يخصهم..

تذكرت تماماً كيف التقت به، أغمضت عينيها متظاهرة بالاستمتاع بالشوكولاتة لكنها كانت تعلم أنها تكذب على نفسها فقد أغلقت عينيها لتتذكره .. تتذكر كفيه اللتين انتشلتاها من وقوع محقق عندما انحرفت بسرعة هاربة من موجة جديدة من الثرثرة حول شخصه لتصطدم به شخصياً! وقتها اضطربت كل حروف اللغة على شفتيها وضاعت قوة بيانها وهو يبتسم بثقة متسائلاً:"هل أنتِ بخير؟" ويهمهم بصوت رجولي محبب وهو ينظر لشارة اسمها الملتصق على جيب معطفها الطبي فيكمل وهو ينظر لعمق

عينيها:"دكتورة مي؟"

لم تحرك ساكناً ولم تحرر جواباً للحظات وكل ما فعلته أنها اندفعت من أمامه هاربة وكأنما تخشى شيئاً ما، شيئاً كانت تعلم أنه سيتعقبها ويراودها ويحاربها وتحاربه، شيئا خرافياً أسطورياً كما وحوش القصص القديمة ! وفي ذات الوقت هو ناعماً مخملياً كبتلات زهرة ندية .. شيء يطلقون عليه مسمى لم تختبره أبداً في حياتها .. ولم تتوقع أنه يمكن أن يدك حصون قلبها العتيدة بتلك القوة ويحيلها لرماد في لحظات فقط من مجرد نظرات ، شيء ما يدعى الحب!

تذكرت مبتسمة كيف كانت تتحاشى التواجد معه في مكان واحد وفي نفس الوقت تتلمس الأخبار عنه من الممرضات .. وهي التي كانت تضيق بسماعها لاسمه أصبحت تتوق لمجرد ذكره بخبر أمامها ..

لقد أحبته، سمحت لنفسها وهي ابنة أبيها ذات الثلاثين عاماً

وصاحبة عزم الرجال الذي لا يُقهر أن تحب!

كيف حدث هذا ومتى؟ لا تعلم!

فقد استيقظت ذات صباح لتعترف لنفسها أنها تحبه،

تحب كل ما يمت له بصلة وتعشق كل ما يتعلق به ..

عدة شهور مرت على الرغم من محاولاتها المستميتة البقاء

بعيداً عن تأثير وجوده في محيطها إلا أنه كان دوماً يحاصرها

بوجوده المفاجئ لتضيع كل رباطة الجأش والاتزان الذي

تملك أدراج الرياح ..

كل يوم كان يمر تتعلق به أكثر، فقد كان مثالاً لكل ما

تمنت في شريك حياتها .. الأخلاق العالية والقلب الحان

والوسامة المحببة ..

كان يمتلك كل ما يؤهله ليحتل عرش قلبها بلا منازع ..

وهو أيضاً كما ظنت وجد فيها ما كان يتمنى في شريكة

حياته ولكن ...

وآاه من كلمة لكن .. تلك الكلمة الاعتراضية التي

تنقلب بعدها كل الموازين رأسا على عقب..

جاءت الريح بما لا تشتهيه سفن فرحتها لتقتلع أشرعتها واحدا تلو الآخر لتغرق في بحر من الألم والأوجاع وكأنما ضنّت عليها الحياة ببضع أيام من الفرحة التي لم تكلف أحدهم شيئا .. هي فقط من دفعت ثمن فرحتها لاحقاً، ثمن غال من السهد والوجع والدموع ..

رفرفت عينيها لتتنبه أنها تبكي للذكرى وكأن الوجع لايزال ساكنا في الحنايا لم يغادر، قابعا في ثنايا الروح لم يرحل .. بعد ما يقرب من أربع سنوات خلت لاتزال تتذكر طعنة الألم التي تلقتها منه ومن أمه والتي هللت عندما علمت برغبته في الارتباط بها فى أول الأمر .. وفجأة تنقلب الآية للنقيض تماماً عندما عرفت في مكالمات لاحقة بينهما أن عمرها قد تخطى الثلاثين عاماً ببضعة أشهر ..

وقتها أصبحت نبرة الصوت غير .. والتعامل غير ..

ولاحظت تباعده عنها ومحاولاته تجنبها وشروده الدائم

إذا ما صادف وقابلته في أحد أروقة المشفى

على غير ميعاد..

وأخيرا .. جاءت الطعنة عندما ضغطت عليه لمواجهتها لم

يستطع أن يهمس بكلمة .. كل ما فعله أنه أخرج هاتفه

ليضغط عدة أزرار ويسلمه لها ويتنحى جانباً .. تركها تتطلع

لشاشة هاتفة ببلاهة للحظات حتى سمعت صوتا ينادي على

الطرف الآخر فوضعت الهاتف على أذنها لترد بثقة لا تعلم من

أين استمدتها:"نعم، أنا مي يا .."

لم تمهلها أمه على الطرف الآخر من استكمال عبارتها

وكأنها تردد كلمات تم الاتفاق عليها مع ولدها مسبقاً

لتهتف بها في سرعة:"كل شيء قسمة ونصيب يا ابنتي،

ابني ليس نصيبكِ .. ربنا يكتب لكِ الخير مع سواه"

صمت رهيب أعقب تلك الكلمات المسمومة التي تسللت

لشرايينها وأوردتها ..

لم تكتف أمه بصمتها الذي يشى بما تعاني لتستكمل في

(استقواء):"أنا أسفة يا دكتورة .. سنكِ غير مناسب لابني، ما بينكما من فارق عمري لا يتعدى بضعة أشهر .. هذا يعنى أنكِ تخطيتِ الثلاثين فما الذي يجبر ابني على الارتباط بمن تماثله عمراً وهو يمكنه الارتباط بمن هي أصغر بكثير وفرصتها في إنجاب أحفاد لي أكبر من فرصتكِ؟"

كانت هذه هي الطعنة النجلاء بحق .. فقد انغرست كلماتها كنصل حاد ليستقر بأعماق الروح التي كانت تحتضر في صمت وهي تغلق الهاتف وتستدير بآلية لتتجه إليه حيث كان يقف زائغ النظرات لتضع هاتفه في كفه وترحل مبتعدة عنه .. تتذكر تماماً أنها اشفقت عليه لحظتها، كان كالتائه في خضم من مشاعر لا يستطيع التعبير عنها، لكنها رحمته ورحمت نفسها وولّت هاربة بعيداً عن محياه ..

فما نفع الكلام بعد كل ما قيل؟!

كلماته كانت ستزيد الطين بلة وستكون كمن يضع

الملح على جرح حي!

مسحت تلك الدموع التي انحدرت بالفعل على وجنتيها .. وفقدت شهيتها للشوكولاتة فتركتها جانباً.. وتنهدت وهي تتذكر كم من الليالي بكت وحيدة في غرفتها لم تجد من تشكي له لوعتها ومعاناة قلبها وجرح كرامتها النازف، لم تجد من تخبره بخبيئة مشاعرها واحتضار روحها .. كانت كما كانت دوما هي المجروح والمداوي عندما يفيض الألم ويعز الدواء.. مسحت دمعها بكف وطيّبت قلبها بالكف الأخرى وأحتضنت نفسها بذراعيها ونامت وهي تطمئن نفسها أن غداً يوماً آخر ، تؤمن بأنه سيأتي بغير عناء ..

بغير ألم أو بكاء!

غداً يوم آخر ستظهر فيه مي القديمة من جديد، نعم مي . ابنة أبيها التي نسيت أنها أنثى وستظل تنسى ذلك ما حيّت، ستعود من جديد وهي أصلب عوداً وأكثر رغبة في المواصلة بغير ظل رجل يخنقها بدلا من أن يحيها، يهدمها بدلا من

أن يبنيها ..

تذكرت كيف قابلته بعدها بعدة أيام وكأن شيئاً لم يكن مما جعل نظرات الدهشة تطل من عينيه فاضحة لتبتسم هي بثقة مبعثها تلك الرسالة التب وصلته بحذافيرها والتي كان مفادها:"ليست أنا تلك التي تموت إن ابتعدت أو اقتربت، فإن كنت قوية بحبك فسأكون بدون حبك الذي يهدر كرامتي أقوى"

والعجيب أنها وجدته يحاول بعد فترة عودة المياه لمجاريها، يعمل على استرجاع علاقتهما لسابق عهدها لكن هيهاات! فقد طردته من حياتها وغلّقت الأبواب وقالت .. إليك عني، فقدت فرغت من ترهاتك وما عادت نظراتك الحانية تأسرني ..

قلبها لازال يئن، هي تدرى.. لكن عقلها له شأن آخر.. وكرامتها لها حسابات أخرى ..

و دموع عينيها الغالية التي سفحتها لأجله لن تهون أبداً ..

ولن تُبذل ثانية لأي رجل مهما كان...

إن أكثر ما أثّر فيها خلال تلك الأوقات العصيبة أنهما بالفعل قد أعلنا خطبتهما وعلمت المشفى كله أنه طلب يدها للزواج وهي قبلت مرحبة بل أكثر من مجرد مرحبة بل كانت محبة، عاشقة، مدلهة بحبه .. الجميع كان يعلم ذلك وهي الوحيدة التي كانت تظن نفسها على قدر عال من الحيطة والحذر حتى لا ينكشف سر قلبها الصغير .. لكن .. منذ متى يمكننا مدارة الحب وفيض العشق الذي يسطع من الأحداق كشمس ظهيرة في يوم قيظ؟!

فالحب تفضحه عيونه، ألا يقولون هذا؟!

وهذا بالفعل ما حدث معها، فضحتها جوارحها كلها ونطقت بعشقه.. كان أصعب اللحظات تلك التي خاضتها وهي تمر بأروقة المشفى بعد إعلانه انتهاء خطبتهما وتلك النظرات التى كانت تطالها من هنا وهناك تحمل الكثير من المشاعر المتابينة ما بين فرحة وتشفي وشفقة .. فرحة لأنه

أصبح متاحا لأخرى من بينهن، وتشفي لأنه أنهى خطبته بها فهي من وجهة نظر بعضهن لا تستحقه، وإشفاق من البعض لأنهم لمسوا محبتها له ومحبته لها..

كل هذا مصحوباً بسؤال فضولي على الشفاة:

لماذا؟! ماذا حدث ليموت ذاك الحب بالسكتة القلبية

لكن لا إجابة ..

لا هي تكلمت وهو أيضا للحق.. لم يصلها أنه أعلن عن أسباب انفصالهما وحمدت له ذلك فما كانت لتحتمل أن يعلم الجميع مدى الإهانة التي تعرضت لها من السيدة الكريمة والدته وكيف أعلنتها صراحة أنها ليست جديرة بلقب زوجة ابنها المصون لا لشيء إلا عمرها الذي تخطى في حسابات البشر العقيمة ..

الثلاثون، ذاك الرقم الخطر في عمرالنساء والذي يذبحهن بسكين بارد ..لينزفن قهراً وظلماً من عُرف أحمق لا يعلمن من وضعه ولو علمن لعُلِّق على المشانق ليُعدم ألف ألف مرة

كما يغتال عرفه وقانونه الجائر أحلامهن الوردية

في كل لحظة يقترين فيها من ذاك السن المشؤوم ..

لكن على أيه حال تخطت تلك اللحظات .. واستوعبت تلك النظرات وتجاهلت التساؤلات التي كانت تطل من العيون ومضت في طريقها غير آبهة إلا بتطييب الجرح وإيقاف النزف والعودة ثانية ل مي القديمة .

مدت كفها تغلق التلفاز الذي ما عاد له نفع أو قدرة على جذبها لمشاهدة ما يُعرض.. ونهضت في تثاقل للحمام تغسل وجهها من أثر الدموع ..

وعادت بخطى بطيئة لغرفة نومها وما إن همت بالدخول تحت الأغطية من جديد لتستريح من عناء اليوم وتهرب من تلك الذكريات التي أرهقتها حتى عادت لتندفع من جديد خارج الغرفة وهي تهتف لنفسها بصوت مسموع:

"لازلتِ حمقاء يا مي وتنسين أغلاق باب الشقة بعناية ككل ليلة، متى ستذكرين ذلك دون وصلة التقريع اليومي؟

كل تلك السنوات في الغربة وحيدة ولازلتِ على رعونتكِ"

وصلت قرب الباب وفجأة ...

توقفت في صدمة وتعالت ضربات قلبها أضعافاً وهي ترهف السمع باضطراب لعلها تكون مخطئة ..

لا .. ليست مخطئة .. فهناك شخص ما يحاول فتح باب شقتها

نظرت لساعة الحائط أمامها والتي كانت تشير تقريباً إلى الثالثة صباحاً بقدر ما استطاعت تبينها في ذاك الظلام المخيم على مدخل الشقة .. لم تعرف كيف تتصرف حتى وقعت عيناها على عصا خشبية كانت قد تركتها بالقرب من الباب لتتذكر التخلص منها عند مغادرتها للشقة تناولتها برهبة واندفعت على أطراف أصابعها خلف الباب في نفس اللحظة التي فتح فيها الدخيل ..

وما إن همّ بفتح نور الردهة القصيرة وتخطي عتبة الباب حتى عالجته بضربة من عصاها على رأسه ليسقط أرضاً ..

وتدوي في تلك الليلة صرختان..

صرخة رعب من حنجرتها التي استعادت صوتها أخيرا ..

وصرخة ألم من ذاك الدخيل ..

والذي أطلقها قبل أن يفترش الأرض فاقداً الوعي .

الفصل الثاني

كانت صرخاتها كدعوة صريحة للجيران ليجتمعوا في لمح البصر عند مدخل شقتها مذهولين مما يحدث .. فهي تصرخ ورجل ضخم الجثة ممددا على الأرض في مدخل الشقة بلا حراك .. اتصل أحدهم بالشرطة بينما دخل أحدهم للشقة يهدأها.. كان رجلا عجوزا منحن الظهر ربت على كتفها في حنو ودفعها برقة لتدخل تضع حجابها على رأسها ..

انتبهت بالفعل أنها لا تضع حجابها ولا مئزرها وكيف لها أن تتذكر في ظل ما يحدث ما يجب عليها ارتداؤه! دخلت تترنح لغرفتها في آخر الرواق الطويل وارتدت مئزرها المنزلي ووضعت حجابها على رأسها وخرجت من جديد لا تعرف ما ينتظرها وهي تُمسك هاتفها بيد ترتجف توتراً لا تعرف بمن يمكنها أن تتصل في مثل تلك الظروف وفي مثل ذلك الوقت المتأخر من الليل ..

وأخيراً قررت على مضض الاتصال بصديقتها الدكتورة نادية وزوجها الدكتور خالد .. لابد من وجود أحد معها في تلك الورطة.. ماذا سيحدث لها لو كان ذاك الرجل الممدد أرضا في الخارج قد مات؟!

انتظرت على الهاتف الذي طال رنينه لترد نادية على الطرف الآخر بصوت ناعس .. لكن ما إن شرحت لها ما حدث معها حتى انتفضت نادية وأخبرتها بقدومها مع زوجها على وجه السرعة.. شكرتها مي بصوت مرتعش و هي تغلق الهاتف وتتوجه للخارج د وما إن وصلت حيث ذاك الرجل الراقد حتى وصلت الشرطة، هتف الضابط بتساؤل:"ما الذي يحدث هنا؟"

أجابت هي بصوت حاولت إظهار الثبات في نبراته:"أنا الدكتورة مي محمود الرفاعي وهذه شقتي والتي فوجئت بهذا الشخص الممدد أرضاً يحاول اقتحامها و.. "

قاطعها صوت همهمة ألم وفجأة .. استيقظ الوحش .. فلقد نهض الدخيل بتثاقل جعل ضابط الشرطة يتراجع مشهراً

سلاحه وهو يهتف بتهديد:"مكانك"

استدار الدخيل ببطء وجلس لأقرب مقعد غير مبال بما يحدث حوله وكأنه لا يرى الشرطة ولا أسلحتها المشهرة بوجهه ولا تلك الجمهرة المحتشدة من الجيران على عتبة الشقة!

تنهد بألم واضعاً كفه على رأسه موضع الضربة التب أتته من حيث لا يعلم ولا يحتسب جعلته يتمدد فاقداً للوعي لفترة لا يعرف طالت أم قصرت ليستعيد وعيه على هذا المشهد الهزلي الذي يطالعه الآن بنظراته التائهة وبصره المشوش ..

هتف الضابط لعساكره أمراً:"أحضروه"

اندفع العساكرلتنفيذ الأمر بسرعة وما إن هم أحدهم بوضع كفه على ذراع ذاك الدخيل حتى هتف بثورة:

"لماذا؟ ماذا فعلت؟"

لم يعره الضابط اهتماماً ولم يجب على أسئلته بينما استدار لمي قائلاً:ألحقي بنَا يا دكتورة من أجل المحضر"

هنا وصل خالد ونادية التي اندفعت تحتضن مي بإشفاق تُهدئ

من روعها بينما نظر خالد للدخيل الذي جلس الآن مطأطأ الرأس متألماً ومحاصراً من قِبل العساكر ..

أكد خالد:"تمام يا حضرة الضابط، الدكتورة ستلحق بك لنستكمل المحضر ونرى ما يجب فعله"

هنا صرخ الدخيل في ثورة:"عن أي محضر تتكلمون هنا؟"

ثم أشار إلى مي مستكملا بنفس النبرة الصارخة:

"أنا من يجب أن يحرر المحضر ضد هذه المتوحشة التي هاجمتني"

هتفت مي ساخرة:"تتسلل إلى شقتي فجراً وعليّ استقبالك بكل سرور أليس كذلك؟"

هتف بغضب هادر و بنبرات نافذة الصبر:

"شقتكِ! أي تخريف ها؟ إنها شقتي أنا"

هنا صمت الجميع .. لم يحرك أحدهم ساكناً حتى ضابط الشرطة أشار لعساكره بالانسحاب مبتعدين قليلاً وأخذ ينظر بحيرة لكل منهما ..

وكان الضابط أول من قطع ذاك الصمت مستفسرًا:

"هل توضح من فضلك ماذا قلت لتوّك؟"

تحدث الدخيل بصوت متعب هدّأت إلى حد ما نبراته الثائرة وهو لايزال يضع كفه على موضع الألم و قد اكتشف إصابته بالفعل لكنه لم يبال:"أنا الدكتور ياسين صابر نور الدين، وهذه شقتي أو بالأدق أملك نصفها شراكة مع أحد أبناء العمومة و هي ميراثنا من عمي المتوفى عدت بعد ما سمعت خبر الوفاة من الخارج لأستلم نصيبي فيها و قد اشتريت بالفعل النصف الآخر من ابن عمي وهذا يعني أن الشقة بالكامل قد أصبحت ملكي وهذا مثبت بأوراق رسمية"

ثم استدار يبحث عن حقيبته التي كانت موجودة على جانب الحائط .. أحضرها له خالد في حذر وهو يتفرس بملامح وجهه ..استلمها ياسين شاكرا ثم فتحها وأخرج من أحد جيوبها ملف يحوي عدة أوراق تفحصها أولا ثم قدمها للضابط الذي استلمها على عجل وتفرس فيها للحظات ثم أعادها

لياسين وهو يهز رأسه أسفاً مما أوقع قلب مي بين قدميها وما إن همت بسؤاله حتى هتف موجها حديثه لها:"يؤسفني أن أبلغك يا دكتورة أن عقده صحيح وأنه المالك للشقة"

تفرَّس فيها ياسين بنظرات مشوشة عزاها لإصابة رأسه لكنه اكتشف أنه فقد نظارته الطبية عندما سقط أرضاً .. جال بنظره على أرض الردهة حتى لمحها أخيراً قابعة بالقرب من موضع جلوسه فاستطال حتى حصل عليها ووضعها لتستبين الرؤية أخيراً ليبتسم ساخراً و هو يحدث نفسه و هو يعود لتفرسها و ذاك الذهول مرسوم على محياها الطفولي:

"هل هذه طبيبة؟ لا يمكن أن تكون فهي بالكاد طفلة هاربة من المرحلة الإعدادية بقامتها القصيرة تلك التي لا تتعدى المتر ونصف المتر بقليل بجانب جسدها الضئيل الذي يخلو في هذا المئزر المنزلي من أي ملامح أنثوية " كان يتفرسها غير عابئ بنظراتها الملتهبة التي ترمقه بها بعد صدمتها من تصريح الضابط ..

هتف خالد بتساؤل:"ماذا يعني ذلك يا حضرة الضابط؟ هل هذا يُعقل؟ مالكان لشقة واحدة وعقد كل منهما صحيح؟"

أومأ الضابط:"نعم يحدث وحدثت كثيرا من قبل ..واضح أن عقد الدكتورة مي محرر من قِبل ابن عم الدكتور ياسين" قالها الضابط وهو يتفرس في كلا العقدين بعدما أحضرت مي عقدها على عجالة و استطرد الضابط موجها حديثه لياسين:"لقد نصب ابن عمك على الدكتورة و باع نصف الشقة الخاص به لها بجانب نصفك يا دكتور ياسين بموجب توكيل محرر منك له"

هتف ياسين حانقاً:"لكن ذلك لم يحدث..أنا لم أوكله في بيع أو شراء أي شيء يخصني"

صمت شمل الجميع قطعه الضابط للمرة الثانية وهو يشير لجنوده بالرحيل قائلا:"أعتقد أنه لا داع في تلك الحالة للمحضر"

هنا انتبه كل من ياسين و مي ليستكمل الضابط موضحا:"ستكون نهاية المحضر يبقى الحال على ما هو عليه وعلى المتضرر اللجوء للقضاء وكلاكما داخل الشقة ويمتلك نصفها بالفعل لو افترضنا بطلان توكيلك لابن عمك.. فالدكتورة تملك نصف بن عمك و أنت تملك نصفك ولا أعتقد أن أي منكما لديه الاستعداد لتركها"

هتف كل من ياسين و مي بنفس اللحظة:"بالطبع لا"

هنا قال الضابط:"إذن عليكما التفاهم ودياً حتى تنتهي هذه المشكلة لكن لو مازالت لديكما النية للمحضر فهيا إلى القسم لأقوم باللازم"

هنا هتف العجوز الذي كان جالساً يتابع الحوار بصمت من البداية:"شكرا يا حضرة الضابط، لو عندهما النية لأية محاضر فستجدهما أمامك"

رحل الضابط بعساكره وبدأ الجيران في الرحيل واحداً تلو الآخر ولم يبق إلا ذاك العجوز الذي جلس يتفرس

بكل من مي وياسين بفضول وعلى شفتيه ابتسامة عجيبة لا تمت للموقف بأية صلة ..

همست نادية لخالد بصوت هامس:"ما الحل الآن؟ كيف سنتصرف؟" وهي تنظر بشفقة لمي ..كلاهما يملك الشقة .. هل ستتركها له وترحل ويضيع شقاء عمرها في غربتها طوال السنوات الماضية ؟!

لم يجب خالد وتنهدت مي وهي تقف تتطلع لذاك المالك الآخر لشقتها بغيظ و هي تقول هامسة بدورها:"لقد صرفت كل ما أملك على هذه الشقة وتجهيزها لتكون عيادة لي بجانب مقر لسكني، كيف يمكنني البقاء الآن؟ كيف آمن على نفسي؟ وما العمل في تلك الورطة؟"

و لم يكن لدى أحد منهم الحل الأمثل لتلك المعضلة .. على الجانب الآخر يجلس ياسين وقد أخرج رباطا طبيا عَصّب به رأسه ليضمد جرحه ليستهله العجوز متسائلا:"ماذا ستفعل الآن يا ولدي؟"

هز ياسين رأسه ببطء:"لا أعلم يا حاج .. فلقد وضعت كل قرش أملكه في هذه الشقة لأشترى نصيب ابن عمي وكنت قد قررت أن أعيش فيها وأجعل منها عيادة لي،إلى أين يمكنني الذهاب؟ فأنا ليس لي أحد هنا يمكنني اللجوء إليه كما أنني لا أستطيع المغادرة .. فمن أدراني بكيفية تصرفها؟!" تساءل وهو يشير بطرف خفي لمي ليستكمل مفسرا:"في ظل عدم وجودي بالتأكيد ستغير قفل الباب ووقتها سأكون أنا في الخارج وهي في الداخل ويضيع حقي ولن أتمكن من تنفيذ وصية أقسمت أمام اللّه على تنفيذها مهما كلفني الأمر "

تنهد العجوز بتفهم وهتف ليسمعه الجميع:"ما الحل الآن؟"

تنبهت مي و أصدقاؤها و عندما تأكد العجوز أنه جذب انتباههم استطرد موضحاً:"من الواضح أن كل منكما متمسك بالشقة وهذا حقه لأن كل منكما دفع سنوات طويلة من عمره و الكثير من ماله بل ربما كل ما يملك

بالفعل ثمناً لهذه الشقة"

هز كل من مي و ياسين رأسيهما مؤكدين بصحة كلام العجوز الذي استكمل قائلا:"وفي نفس الوقت ليس من المنطقي بقاءكما فيها معا!"

ألقى العجوز سؤاله البديهي و كان دوره ليتطلع لكل من مي و ياسين لتصرخ مي هاتفة بحنق:"بالطبع لا .. هذا لا يجوز هو من سيرحل .. فهذه شقتي ولن أتنازل عنها مهما حدث"

تنهد ياسين وتمطى بتثاقل مغيظ وهو يرد على كلماتها ببرود زاد من لهيب أعصابها المشتعلة:"وبالمثل يا .. "

ونظر إليها من جديد متفرساً من أعلى لأسفل باستهانة وهو يستطرد:"يا دكتورة .. إنها شقتي ولن أرحل"

هتفت مي حانقة:"ما هذه المصيبة يا ربي؟!"

هتف ياسين ساخراً:"سبحان اللّه.. وكأنك أخذتيها من لساني"

استشاطت غضباً وكادت تندفع إليه لتقتله إلا أن نادية

أمسكت بمعصمها وأخذت تربت على كتفها مهدئة

فهي بحق في موقف لا تُحسد عليه ..

هنا تحدث خالد بهدوء:"هل عِندك استعداد لبيع نصيبك

في الشقة يا دكتور ياسين؟"

همّ ياسين بالإجابة عندما قاطعته مي هاتفة في خالد:

"من أين لي بالمال يا دكتور خالد لأشتري نصيبه فأنت تعلم

أني اشتريت أدوات تجهيز العيادة بما تبقى لي حتى أنني لم

أدفع ثمنها كاملا بل هناك العديد من الأقساط لابد من

سدادها في مواعيدها المتفق عليها"

قال خالد وهو ينظر لزوجته التي أومأت مؤكدة على

اقتراحه:"يمكننا أن نقرضك ثمنها"

هتفت مي رافضة:"لا .. أنا لا أقبل .. كيف يمكنني سداد

كل هذه الديون؟"

هنا هتف ياسين وهو لايزل على جلسته المسترخية يتابعهم

بلامبالاة كأن هذا الشأن لا يعنيه من الأساس:"أنا أوافقك

في رفضكِ "

هتفت مي في غيظ:"و من طلب رأيك؟ رجاءً لا تدخل فيما لا يعنيك "

رد بضحكة مكتومة وهو يضع كفه على موضع جرح رأسه:

"ومن قال أنني أتدخل فيما يخصكِ؟ أنا أيضا أرفض ..لكن أرفض البيع لكم من الأساس .. فكرة البيع في حد ذاتها مرفوضة لأنني صرفت كل أملك في سبيل الحصول على تلك الشقة من ابن عمي و الذي فعل المستحيل ليشتري نصيبي ولم يفلح في إقناعي بالتخلي عنها..."

هنا اندفعت مي مقاطعة:"اه بالطبع .. لذا تحايل على الأمر وزور توكيلا ليبيعني إياها! و نعم العائلة.. و ربما تكون مشاركاً له في تلك المسرحية الرخيصة"

كان رد فعل ياسين مبهما على الرغم من كلمات مي الجارحة إلا أنه استطاع الحفاظ على هدوء أعصابه و رباطة جأشه بشكل مثير للإعجاب و لكن رغم ذلك استطاعت هي

بشكل فطرى أن تستشعر الغضب الكامن الذي ظهر لحظيا في نظراته الموجهة لها ..

هنا كان دور خالد ليوجه كلامه لمي من جديد باقتراح معاكس:"إذن ليس هناك من سبيل آخر لحل تلك المعضلة إلا ببيع نصيبك أنتِ يا مي للدكتور ياسين"

كادت مي تصرخ رافضة من جديد إلا أن ياسين كان الأسبق هذه اللحظة ليضحك موجها حديثه لمي مشيرا لها أن تطمئن عندما استشعر ردة فعلها:"أنا أيضا غير موافق .. و ليس رغبة في الرفض للرفض و تعقيدا للأمور"

كان يلقي كلماته الأخيرة باتجاه خالد:"لكن أنا بالفعل لا أملك مالا كما أشرت سابقا ليمكنني دفعه مقابل نصف الشقة التي هي بالفعل نصيب الدكتورة مي .. فما بالكم بأنها بالتأكيد تريد ثمن الشقة الذي دفعته كاملا .. حتى ولو لم أكن مسؤولا عن تصرفات بن اعمي و سلوكياته لكنها لن تتنازل عن نصف ثمن الشقة هكذا ..

أليس كذلك؟!"

تساءل و هو ينظر لمي التي أجابت بإيماءة موافقة على كلامه للمرة الأولى.. ليستطرد موضحا:"كما أنني لا أملك أصدقاءً مثلكما يمكنهما إقراضي"

هنا هتفت نادية:"ما الحل إذن لتلك المعضلة؟! أما من حل يرضي جميع الأطراف؟"

هنا هتف العجوز الذي نسي الجميع وجوده بالفعل في ظل المناقشات الحامية مبتسما في سعادة لا تمت للواقع بصلة:

"أنا عندي الحل الأكيد لهذه المعضلة"

تطلعت جميع الأنظار إليه ليصمت لحظات صانعاً جو من الإثارة والترقب قبل أن يهتف في حبور:"زواجكما هو الحل الأمثل لهذه المعضلة "

صمت مطبق و ذهول تام غمر الجميع إلا ذاك العجوز العجيب الذي جلس مستمتعا بما أثاره من جو للدهشة..و أخيرا استفاق كل من مي وياسين من ذهولهما ليصرخ كل منهما معترضاً.

الفصل الثالث

صرخات من هنا و اعتراضات من هناك وامتلأ جو الشقة بالمزيد من الشقاق و كأنه حلبة مصارعة لا نقاش محتدم .. لم يكن أحدهما يسمع الآخر .. فاقتراح العجوز الذي يجلس في استكانة عجيبة في أحد الجوانب تضيء عيناه ببريق عبثي أثار جنون الجميع بلا استثناء .. و أخيرا بعد تلك المعركة المحمومة صمت الجميع على غير اتفاق .. لتكون مي أول المعترضين لكن بهدوء حذر غير قادرة على المزيد من الصراخ:"ماذا تقول يا حاج حسن؟ زواج.. بالطبع لا هذا جنون"

كان دور ياسين ليرد بنفس الهدوء:"بالطبع زواج لمجرد شقة! لا أعتقد أنها فكرة عاقلة ومتزنة من الأساس "

كان دور العجوز ليتحدث أخيرا بعد إلقاء قنبلته المدوية ليقول بصوت رزين أثقلته خبرة السنين:"و هل لديكم

حل آخر؟!" صمت الجميع مما شجعه على الاستطراد بنفس الهدوء الواثق:"ما دفعني في الأساس لاقتراح هذا الأمر أني أعلم أنه لن يخطر ببالكم.. و حتى و لو لاح ببال أحدكم فلن يكون في مقدوره البوح به لذا وفرت عليكم الحرج ووضعت الحل الأبعد الأقرب أمام أعينكم"

كان الصمت هو البطل الأوحد لتلك الليلة .. فها هو يطل على الساحة من جديد بعدما أوضح العجوز وجهة نظره التي لا تخلو من حكمة و خبرة سنين تركت أثرها جليا على محياه الباسم و ظهره المنحن ..

استأذن خالد و أشار لكل من نادية و مي للحاق به ليدخل أولى الحجرات التي قابلته و تتبعاه وتغلق زوجته الباب خلف ثلاثتهم.. لتصبح الشقة ميدان للتشاور على جانبي جبهتي النزاع ..

وبدأت المشاورات والمباحثات الجانبية لكلا الطرفين .. خالد ونادية ومي في جانب والعجوز وياسين في الجانب الآخر..

و من داخل الحجرة هتف خالد:"إنه القرار الأكثر صوابا هل عندك أي نية في ترك الشقة؟"

هتفت مي بعصبية:"بالطبع لا وأنت تعلم ذلك.. لكن ليس ذلك معناه أن أتزوج من شخص لم ألتقيه إلا منذ ساعات من أجل شقة ..هل هذا معقول؟"

هتفت نادية:"لا.. في الطبيعي غير معقول لكن في حالتكِ هذه.. كيف لا تريدين مغادرة الشقة وفي نفس الوقت يبقى كل منكما بها؟ هل هذا جائز من وجهة نظركِ؟"

صرخت مى بنفاذ صبر:"هو من سيرحل .."

هتف خالد:"لن يفعل .. إنه متمسك بحقه مثلك تماما .. بل إن موقفه هو الأقوى من الناحية القانونية"

تنهد في نفاذ صبر مستطرداً:"أملنا الآن أن يوافق هو على الزواج"

هتفت مي بغيظ:"هذا ما كان ينقصنا.. رضينا بالهم والهم لا يرضى بنَا"

قال خالد بنبرة متعقلة:"صدقيني يا مي.. هو كرجل لن يفرق معه وجود رابط رسمي بينكما من عدمه.. هو سيبقى ولن يرحل وكل المشكلة ستكون من نصيبكِ أنتِ .. هل تتخيلين لو أننا خرجنا الآن ووجدناه يرفض المغادرة ويرفض الزواج أيضا؟"

نظرت كل من مي ونادية لبعضهما وكأن هذا الخاطر كان غائبا عن بالهما.. مما شجع خالد ليستطرد في حماس:

"صدقيني هذا العجوز بالخارج خدمنا خدمة العمر بهذا الاقتراح العبقري وأنتِ وشطارتكِ.. اعملي على جعله يصرخ طلباً للنجدة ببعض الحيل النسائية المتقنة في جعل الرجل يطلب العون وأعتقد نادية قادرة على مساعدتك في ذلك"

نظرت إليه نادية متخصرة وهتفت بنبرة متوعدة:"ماذا تقصد بالضبط زوجي العزيز؟"

انتبه خالد لخطئه الجسيم فضحك في بشاشة هاتفاً بلهجة مرحة ليغير مزاج زوجته:"بالطبع أقصد كل الخير يا

حبيبتي .. أقصد أن ذكاءك يمكن أن يسعف مي ببعض الخطط التطفيشية ليس أكثر "

كزّت نادية على أسنانها وقررت تأجيل عتابها لزوجها وهي تربت على كتف مي فى تعاطف هامسة:"ها.. ماذا قلتِ.. ما هو قرارك؟"

هزت مي رأسها في حيرة هامسة:"لست أدري.. حقا لست أدري! فلننظر ماذا قرر هو ونرى وقتها كيف سيكون الأمر "

على الجانب الآخر كان الحاج حسن يربت على ركبة ياسين بعد أن أحضر له كوبا من العصير من شقته المقابلة لشقتهما والتي يعيش بها وحيداً هامساً به:"اشرب هذا يا ولدي وكل مشكلة ولها حل"

ابتسم ياسين بود للعجوز الطيب وتناول منه كوب العصير الذي كان يحتاجه بشدة في تلك اللحظة وتجرعه على دفعتين في تلذذ ابتسم العجوز متسائلا:"كيف ستتصرف؟"

هز ياسين رأسه المصاب جاهلا بما عليه فعله فشعر بالدوار

فتوقف متألماً فسأله العجوز في ترقب:"هل أنت متزوج؟"

صمت أعقب ذلك وغامت عينا ياسين للحظات وأخيرا أجاب:

"لا .. لست متزوجاً" فتنهد العجوز براحة واستطرد بحماس:

"حسنا .. ما المانع في زواجكما؟ هي لن تخرج من الشقة وهذا حقها، ربما تضطر لذلك اضطراراً إذا لم توافق أنت على الزواج فكيف لها أن تبقى دون رابط شرعي مع رجل غريب ولا أعتقد أن تركها للشقة يرضيك و خاصة أن ابن عمك كان له دورا أساسيا فيما هي فيه الآن ..كما أنك لن تترك الشقة لها وهذا حقك ..لكن بقاءك معها دون رابط رسمي لن يرضي أحداً ولا أعتقد أنه يرضيك شخصياً فيبدو لي أنك رجل تراعي حدود اللّه"

هتف ياسين مؤكدا:"بالطبع لا يرضيني"

تنهد العجوز وعرف أنه قد أصاب الهدف فاستكمل حديثه:

"حسنا .. هذا يعني أن الزواج هو الحل الوحيد المتاح ليحفظ كل منكما حقه ولا تعلم ربما..."

صمت العجوز وعيونه تبتسم فتنبه ياسين لصمته فسأله مستفسراً:"ربما ماذا؟"

هز العجوز كتفيه:"ربما لا تستطيع هي التأقلم مع هذه الحياة وتطلب هي الابتعاد وترك الشقة، أليس هذا جائز ؟"

لم يعقب ياسين وأخذ يفكر في كلام العجوز، فعلا..ربما تضيق بتلك الحياة وتترك كل شيء وراءها وربما تفكر في السفر من جديد .. لكن ما الذي حمل شابة مثلها على العيش وحيدة؟" تنحنح بإحراج وهو يوجه نفس السؤال للعجوز بصوت خافت:"لكن يا حاج .. أنا لا أعلم عنها شيئا، كما أنني أتساءل عن السبب الذي يدفع شابة في مثل عمرها للعيش وحيدة"

اقترب منه العجوز وكأنه يفضي له بسر خطير وهو يقول: "حسنا سأخبرك ما أعلمه بهذا الشأن .. إنها وحيدة بعد أن مات أبواها وتزوجت أختها في بيت أهلها.. إنها طبيبة علاج طبيعي وتبلغ من العمر أربعة وثلاثين عاماً ولم تتزوج

من قبل"

هتف ياسين بدهشة:"أربعة وثلاثون! لا يُعقل ..إنها هاربة من المدرسة الإعدادية على أقصى تقدير"

سخر منه العجوز:"هل هذا فقط ما لفت نظرك؟!

ألم تنتبه أنها لم تتزوج بعد؟"

ثم استبدل العجوز نبرته الساخرة بأخرى حانية و هو يقول:

"حدسي يحدثني أن هذه الفتاة الرقيقة خلفها قصة لا أعلمها لكن اعتقادي الراسخ أنها قصة تدعو للشرف والاحترام.. إنها فتاة من النوع الذي تقابله مرة بالعمر وتندم أنك لم تقابله من قبل"

انفجر ياسين ضاحكاً رغم ألم رأسه بصوت جهوري:

"آااه يا حاج حسن .. يبدو أنك رومانسي قديم"

هتف الحاج حسن ضاحكاً بدوره:"ليت الشباب يعود يوما، أقسم لو لم تتزوجها لأطلب أنا منها الزواج وستندم ..فهي لن تستطيع أن ترفض عجوزاً بحيويتي"

واندفع الحاج حسن يسعل بشدة مما دفع ياسين لمزيد من

الضحكات الرنانة والتي اهتزت لها جدران المنزل ..

توقفت ضحكاته في اللحظة التي دخل فيها كل من مي ونادية وخالد للردهة.. ساد الصمت للحظات، كل من الجانبين يتطلع للأخر في ترقب..

هنا قطع الحاج حسن الصمت هاتفاً بتساؤل:"هل نبارك؟"

لم ترد مي بدورها فقد التصق لسانها بسقف حلقها توتراً وزاد وجيب قلبها أضعافاً مضاعفة بينما هتف ياسين للعجوز في مرح:"ولِمَ لا؟ بالطبع مبارك .. إلا لو كان لدى العروس أي مانع" نظر لمي التي لم تستطع أن تنبس بحرف واحد بل هزت رأسها بأن لا مانع لديها..

هنا هتف العجوز بسعادة:"حسنا على بركة الله ..بالطبع الساعة الآن قرب السابعة ولن نجد مأذوناً مستيقظاً بالطبع ولذا قررت أنا الحاج حسن أن أحضر فطوراً رائعاً على شرف العروسين في شقتي"

هتف خالد بسرور:"أحسنت صنعاً يا حاج .. هذا هو الكلام

فأنا أتضور جوعاً"

هتف ياسين مرحباً:"أنا أيضا أتضور جوعاً فأنا لم أتناول طعاماً منذ البارحة فأنا أكره طعام الطائرة"

تنبهت مي .. إذا فقد نزل من الطائرة رأساً إلى هنا مثلما فعلت هي منذ عدة أسابيع .. كلاهما وحيد في هذه الدنيا وكلاهما ذاق مرارات الغربة واكتوى بنيرانها ..

هتفت نادية متذمرة تخرجها من شرودها:"هكذا الرجال .. لا يهمهم إلا بطونهم"

ضحك الجميع ليهتف الحاج حسن وهو يتحسس معدته:

"وما أروعه من هم !"

ليستجلب المزيد من الضحكات وهو يتوجه لشقته لإعداد الإفطار وانتظارهم للاحتفال بالعروسين .

الفصل الرابع

استفاقت من شرودها على صوت جاءها من آفاق بعيدة يهتف قائلا:"بارك اللّه لكما و بارك عليكما وجمع بينكما في الخير"

كان ذلك صوت المأذون الذي أحضره خالد وهو ينهي مراسم عقد القران ..

عادت للواقع في إجبار وجعلتها تلك الدعوات المباركة تتساءل في وجل .. هل هذا يعنى أنها أصبحت زوجة لذاك المدعو ياسين والذي يجلس هناك بأريحية وكأن الأمر لا يعنيه؟!"

لا تعرف لِمَ شعرت بارتعاشة خفيفة وهي تتفرس به دون أن يلحظها و همست في نفسها:"سأكون مع هذا الضخم ذو الابتسامة المستفزة والضحكات الرنانة تحت سقف واحد!

حسنا .. لن أدعه يتغلب عليّ ، لن أدعه يسلبني

شقاء سنين في غربة دفعت ثمنها الكثير والكثير .. ولا استعداد لدي لدفع المزيد"

اندفعت نادية تحتضنها وعيناها تبللها الدموع مما جلب الابتسامة لشفتيها وهي تهمس لصديقتها مؤكدة:"نادية إنه ليس زواجا حقيقيا وأنتِ تعرفين .. لِمَ البكاء الآن؟"

همست نادية من بين دمعاتها:"لا أعلم.. مراسم عقد القران تجلب الدموع لعيوني تأثرا وأنت تعرفين"

نهض الجميع مودعين وابتدأت نادية بالانسحاب مع خالد زوجها مع التأكيد على أنهما دوما بالقرب إذا ما جدّ جديد فعلى مي الاتصال بأي وقت ..

تبعهما الحاج حسن مباركا للعروسين وخرج وجذب باب الشقة خلفه وهو يودع ياسين بابتسامة مرحة ..

الآن بدأت لحظة الجد .. هتفت بها مي في سرها .. فقد أصبحت بالفعل وحيدة معه في شقتها.. شقتهما!

اندفعت مبتعدة عن طريقه متوجهة كالعاصفة لحجرتها

كان يتبعها وصادف أن وصل لأحد الغرف المجاورة لحجرتها عندما دخلت وأغلقت الباب خلفها في عنف أجفله وفي ذات الوقت جعله يهز رأسه ساخراً من تصرفها الطفولي .. لا بأس، على أية حال .. هو هنا في شقته وهذا هو المهم ..

اندفع للغرف المغلقة يفتحها واحدة تلو الأخرى..

لاحظ الآلات التي تم وضعها في أركان كل غرفة إلا غرفة واحدة ظلت فارغة لحسن حظه .. فدخلها وقرر أن يتخذها حجرة لنومه ومعيشته لكن .. ما العمل الآن؟

أين سينام؟! إن جسده كله يئن تعباً ورأسه تطن بسبب تلك الضربة التي تلقاها من تلك القصيرة بالداخل وتساءل ساخرا كيف لفتاة بمثل ذاك الطول أن تكيل ضربة بمثل هذه القوة؟!

"جباااارة"

هتف داخلياً بغيظ وهو يتحسس موضع الضربة بألم ..

يبدو أن مهمته معها لن تكون سهلة أبداً ..

لابد من أن يدفعها للفرار من شقته بأسرع وقت ممكن ..

فهو لديه الكثير لينجزه حتى تبدأ عيادته في جلب المرضى والتكسب منها ..

دق جرس الباب فتحرك في تثاقل متوجهاً لفتحه فوجدها تسابقه وهي تقف متحفزة أمام باب الشقة تفرد ذراعيها على وسعهما هاتفة:"إنها شقتي .. وأنا من سيفتح بابها"

هتف بتحدي:"هي شقتي أيضا وأنا من سيفتح"

ازداد جرس الباب إلحاحاً مما دفعه للتقدم نحوها ..

صرخت بتحدي:" لا "

أعاد الهتاف بحدة :"افسحي الطريق .. فأنا الرجل على أية حال .. وانا من يجب عليه فتح الباب ..

زمجرت بغضب:"في أحلامك ..لن تفعل ..على جثتي"

تقدم منها فى خطى متمهلة علها تخاف فتبتعد لكن أبدا على الرغم من ضربات قلبها التي تجاوزت الضعف إلا أنها لم تشأ أن تلين وترضخ مع أول تحدي بينهما ..

كان قد وصل عندها الآن ومازال جرس الباب يدق في هستيرية.. طلّ عليها بقامته العملاقة بالمقارنة بها فشعرت بمدى ضآلتها أمام ذاك الوحش الآدمي ..

أمرها بهدوء:"ابتعدي"

هزت رأسها رافضة وهي تلصق ظهرها بالباب محتمية ..

هتف مؤكدا:"حسنا.. أنتِ من اختار "

لم تفهم ما كان يقصده بالضبط إلا بعد أن مد ذراعه بكل بساطة وأحاط خصرها وحملها كحزمة من البقدونس وهو يفتح الباب ولازالت متعلقة بين عضده وساعده تقاوم لينزلها ولا تقوى على الإتيان بأي صوت اعتراضي على ما فعله بها حتى لا يصل لأي من كان على الباب والذي كان عِوَض يلهث وهو يئن ألماً لثقل ما يحمله و قد بعثه به الحاج حسن الذي هتف من خلفه وهو يقف على الجانب الآخر من الردهة بين شقتيهما عندما طالعه وجه ياسين:"حاجة بسيطة تستعين بها حتى تستطيع تدبر أمور منامك"

ابتسم ياسين وهو يتطلع لتلك المرتبة التي مازال عِوَض يحملها ساخطاً..

هتف ياسين:"دقيقة واحدة يا عِوَض.. أفسح لك الطريق" قالها متحججا بالطبع فقد كان يقصد التخلص من تلك المتعلقة بذراعه ولازالت على مقاومتها الشرسة على الرغم من حرصها على عدم فضح وجودها ..أغلق ياسين الباب واندفع بها بكل بساطة لينزلها على أحد المقاعد القريبة وهو يهمس بمرح مغيظ:"الآن .. أعتقد أنكِ تعلمتِ كيف تكوني عاقلة" ربت على رأسها كفتاة مطيعة وتركها ليفسح المجال لعوض الذى ما إن وصل للحجرة التي أشار لها ياسين حتى ألقى المرتبة أرضاً وسقط فوقها مرهقاً

دخل ياسين الغرفة خلفه فانتفض عِوَض واقفاً يعدل من وضع المرتبة ويفرد عليها الشراشف النظيفة وما إن انتهى حتى تبعه ياسين للخارج واضعا بعض الأوراق النقدية في راحة يده شاكرا .. أخذها عِوَض مهللاً بفرحة ..

فقد كانت أكثر مما يستحق بكثير ..

كانت لاتزال على حالها منذ أنزلها مشدوهة مما حدث !

كيف يفعل معها هذا؟!

كيف يحملها بهذه الطريقة ويعاملها بهذا الأسلوب؟!

عليها منذ الآن ألا تتحداه في أمور قد يفرض فيها سلطة جسده وعندها هي بالتأكيد خاسرة .. عليها استعمال العقل والحيلة وبعض من الدهاء والمكر حتى تنجح فيما تهدف إليه ..

نهضت وقدماها لازالت ترتجف من صدمتها لما فعل تنوء بحملها .. وما إن وصلت لغرفتها حتى أغلقت بابها بعنف وصادف للمرة الثانية قدومه بعد رحيل عِوَض ليجفل من قوة إغلاقها للباب ..

لم يكن ليفوت عليه فرصة كهذه، تقدم بهدوء وطرق بابها بكل أدب، تعجبت لكن كالعادة تسرعت وفتحت قبل أن تفكر ..

هتفت بسخط وهي تفتح الباب بعنف:"ماذا تريد الآن؟"

ابتسم بشكل مغيظ وبهدوء قال:"رجاءً معاملة الأبواب بشكل لائق لأن لا نية لدي لتغييرها بأخرى جديدة في الوقت الراهن فأرجو الحفاظ على مقتنيات الشقة .. شقتي" وضغط على كل حرف من حروف الكلمة الأخيرة مما أثار غضبها لتكز على أسنانها وهي تغلق الباب في وجهه من جديد ..

فانفجر ضاحكاً تصلها قهقهاته الصاخبة المستفزة فتثير المزيد من حنقها..

دخل غرفته و فتح حقيبته يتناول منها بعضا من ملابسه متوجها للحمام لينعم بحمام دافئ يزيل عنه بعض من أدران السفر ويخفف ولو قليلا من ألم رأسه ..

دخل الحمام بالفعل وأغلق بابه خلفه وغاب فيه مستمتعا ..

فتحت هي باب حجرتها بحذر فهي لم تسمعه وهو يدخل للحمام و أطلت برأسها تستطلع موضعه من الشقة لكن لا أثر له .. "يبدو أنه خلد للنوم أخيرا.. هذا أفضل" هتفت لنفسها

بذلك وهي تتسلل لخارج الغرفة وما هي إلا بضع خطوات حتى ارتطمت جبهتها ببطن بشرية رخوة أعادتها للوراء بضع خطوات وكأنما اصطدمت بحائط من مطاط ..

وفجأة شهقت وهي تضع كفها على فمها وهي تراه على هيئته

هتفت داخليا:"الوقح!"

ثم هتفت بشيء من الحزم على الرغم من ارتعاشة صوتها التي كانت تحاول أن تداريها:"لو سمحت .. أنت لست وحيدا هنا ارتدِ شيئا يستر ك"

قال بتعجب:"أكثر من هذا! أنا أراعي وجودك بالمناسبة لأنني رجل مهذب"

هتفت بغيظ:أي تهذيب يا هذا وأنت تتجول بحرية هكذا"

وأشارت إلى ما يرتديه بحنق فاندفع يقول ببرود:"هكذا الذي لا يعجبك هي الملابس الأكثر حشمة على الإطلاق"

نظرت إلى بنطاله القصير الذي يصل بالكاد لركبته وفانلته البيضاء الداخلية وهي تطلق زفيراً يحمل سخط

العالم وهي تشيح بنظرها عنه و قالت في محاولة لتهدئة حالها:"سيد ياسين، ارتدِ ما شئت داخل غرفتك و رجاءً لا تستخدم هذا الحمام مرة أخرى يمكنك استخدام حمام الضيوف على الجانب الآخر من الشقة"

شبك ذراعيه أمام صدره:"فيما يخص ملابسي أنا حر تماما فيما أرتدي داخل بيتي أما فيما يخص الحمام لا مانع على الإطلاق من استعمال حمام الضيوف، أرأيتِ كم أنا رجل متعاون؟!"

وصل بها الغضب والإرهاق الناتج عن قلة النوم مبلغاً كبيرا جعلها تتفوه بالترهات بالفعل وهي تهتف ساخطة:"الرجاء الالتزام بملابس محتشمة، فليس من اللائق أن أفعل أنا المثل وأقول حريتي الشخصية دون مراعاة لك"

هتف بمرح ساخراً:"أرجوكِ افعلي .. فسيكون هذا من دواعي سروري"

انفجر ضاحكاً عندما رأى الصدمة مرسومة على محياها

البريء واكتشافها لفداحة ما قالت وغباء ذاك التشبيه والذي لم يكن من الجائز استخدامه من الأساس، احمر وجهها خجلاً وغضبا ومقتا على ذاك الرجل فاندفعت لحجرتها بغضب هاتفة بثورة:"وقح!"

ليهتف هو من بين ضحكاته المجلجلة:"جباارة"

لتغلق باب حجرتها خلفها بعنف من جديد وبدل من أن يجفل كالعادة توجه لباب حجرتها ليطرق عليه، فتتعلم هي الدرس هذه المرة و لا تندفع لتفتح كعادتها بل هتفت من الداخل بثورة عاصفة:"ارحل قبل أن أخرج وأرتكب جريمة"

ما كان منه إلا الانفجار في الضحك من جديد..

تجلجل ضحكاته المتشفية وهو يتوجه لغرفته ليستلقي على المرتبة الموضوعة أرضا ويغرق فى نوم عميق .

****

انتفضت على صرخاته المدوية التي جاءتها من مكان قريب من باب حجرتها تركت فراشها و تسحبت كقطة على أطراف

أصابعها و اقتربت تضع أذنها على الباب تسمع ما يدور بالخارج، لكن تلك الصرخات هدأت لتتبعها طرقات قوية على باب غرفتها كادت أن تصيبها بالصمم و نوبة قلبية بسبب انتفاضتها المذعورة و التي كادت أن تطلق صرخة مدوية مصاحبة لها لولا انها استطاعت السيطرة على صوتها في اللحظة الأخيرة و كتمها داخل حنجرتها و هي تطبق كفها على فمها ..

تتابعت الطرقات العنيفة على الباب و تضاعف معها وجيب قلبها الذي كاد يشق صدرها هلعاً و أخيرا استعادت صوتها الذي حاولت أن تغلِفه بالثبات قدر استطاعتها وهي تهتف متصنعة الغضب رداً على طرقاته المجنونة التي كادت أن تقلع الباب من موضعه:"ماذا تريد؟"

أمرها بصوت هادر :"افتحي الباب"

هتفت في إصرار:"لا .. لن أفتح.. ماذا تريد؟"

هذه المرة أمرها بصوت هادئ يحمل نبرات حازمة:"افتحي

الباب الآن و فورا"

وضعت حجابها و شدت مئزرها على جسدها و فتحت الباب

مترددة فتحة بالكاد تسمح برؤيتها له و لكن بخلاف ذلك

طالعتها إحدى فانلاته الداخلية وهو يمدها أمام ناظريها ..

فهتفت ساخرة:"ما هذا؟ عرض آخر لملابسك الداخلية؟"

لم يرد ولكنه أشاح بفانلته

ليخرج لها من خلف ظهره قميصا ورديا ينشره أمام وجهها

لتهتف وهي تنتزعه من يده:"قميصي، أين وجدته؟"

رد ساخراً:"ضبطته متلبسا بين أحضان ملابسي البيضاء

الطاهرة لأجد فجأة الدنيا بأكملها وردي وردي و يبدو أن

متسللة قصيرة قد استغلت فترة نومي لتعبث بملابسي"

تجاهلت روايته للواقعة وهي تدفع الباب:"شكرا لأنك وجدت

قميصي الضائع"

دفع الباب قبل أن ينغلق:"هو لم يكن ضائعا بالمناسبة فقد

قام بمهمة محددة على أكمل وجه"

هتفت تتصنع الحنق:"أنت تتهمني الآن أليس كذلك؟ و ما ذنبي أنا أن قميصي كان موجودا بالمغسلة وأنت لم تنتبه لوجوده وأنت تضع ملابسك"

أكد بإصرار:"كانت المغسلة فارغة تماما و كان هذا القميص زائرا لها في وقت لاحق"

قالت بهدوء لتستفزه:"وما الذي عليّ فعله الآن؟ الاعتذار بالنيابة عن قميصي؟!"

سخر منها:"هذا أقل واجب بالمناسبة"

نظرت إليه بغيظ و أخيرا قالت:"أشكرك مرة أخرى لإعادة قميصي، وداعا"

و أغلقت الباب بوجهه من جديد و هي تنتظر موجة غضب أو حتى طرقات جديدة على الباب تقتلعه بحق هذه المرة لكن لدهشتها سمعت بدل من ذلك خطواته تبتعد.. كتمت أنفاسها تتأكد من ابتعاده عن محيط حجرتها لتندفع كالمجنونة تتقافز على فراشها بفرحة فهي قد انتصرت

عليه أخيرا و الفضل لقميصها الوردي الذي تحب ارتداءه على الرغم من أنه يعذبها في غسله بمفرده بعيدا عن أي ملابس أخرى لأنه ببساطة يجود بلونه الرائع المحبب لها على كل ما يحيط به و يمنحه لونه بسخاء محب..

وتذكرت كيف تسللت بالفعل للحمام في غيابه بعد أن سمعت غطيط نومه و دفعت بقميصها داخل الغسالة يتوسط ملابسه البيضاء وانفجرت ضاحكة كالممسوسة و هي تتذكر كلماته.. أنه وضع الملابس بيضاء ليجد كل ما يحيطه به أصبح وردي .. وردي !

كم تشعر بنشوة الانتصار الآن و كم هي راائعة تلك النشوة !

الفصل الخامس

طرقت على باب شقة الحاج حسن وابتسمت عندما تناهى لمسامعها صوته يؤكد مجيئه ليفتح الباب و خطواته الثقيلة تقترب بالفعل و اتسعت ابتسامتها عندما انفرج الباب عن محياه الطيب و ابتسامته المحببة ..

هتفت بسعادة:"صباح الخير يا حاج حسن"

و دفعت بصينية عليها طبق كبير مغطى تناولها العجوز في فضول ليرفع الغطاء هاتفاً في سعادة:"أرز باللبن! يبدو شهيا، أنا أغبط الدكتور ياسين فهو غارق بالفعل في ما لذ و طاب من صنع يديكِ الجميلتين"

قهقهت هاتفة:"من ناحية غارق، فهو غارق بالفعل"

و تذكرت كيف أنها وضعت بعض المسهلات في طعام قد أعدته بعد أن تناولت منه ما يكفيها و تركته لعلمها

بضعفه أمام رائحة الطعام الشهية و بالفعل أكل منه بشهية كبيرة ليظل غارقا حتى أذنيه في نوبات الذهاب للحمام حتى اليوم التالي ..

ثم غيرت الموضوع متسائلة:"لا أعرف يا حاج حسن، مر اكثر من شهر على افتتاحي للعيادة و لم يأتِ و لا مريض واحد"

ضحك الحاج حسن هاتفاً:"و كيف يأتي المرضى؟ هل عليهم التنجيم حتى يصلوا لعيادتكِ؟"

سألت متعجبة:"ماذا تقصد؟"

أجاب بهدوء:"يا ابنتي لا توجد أي إشارة تدل على وجود عيادتكِ من الأساس .. أين تلك اليافطة الكبيرة التي أبلغتني أنكِ ستضعينها على سُوَر شرفتك المطلة على الشارع حتى يراها الجميع والتي تحمل اسمكِ و تخصصكِ؟"

هتفت بتأكيد:"لقد علقتها بالفعل كما أخبرتك"

أكد برزانة:"لقد عدت اليوم من مشواري لأتقاضى معاشي الشهري من البنك و لم أرَ أي يافطات"

هتفت متعجبة:"كيف ذلك؟ إنها ...."

و قطعت كلامها و قد طرأ على ذهنها خاطر ما فأستأذنت الحاج حسن في عجالة و دخلت مندفعة كالصاروخ إلى الشرفة لترى يافطتها التي تحمل اسمها و تخصصها ملقاة بإهمال على إحدى جانبي الشرفة كادت تنفجر غضبا و قهرا و هي ترى يافطته تنير مكان يافطتها ..

"الأحمق!" هتفت بغيظ و هي تدخل إلى الشقة مندفعة تبحث عمن فعل ذلك .. تبحث عن عدوها اللدود، ياسين نور الدين!

كانت غرفته مفتوحة خالية منه .. يبدو أنه في الحمام .. لن تبحث عنه مطولا فليكن حيثما يكون عندما يظهر أمامها ستتصرف معه بما يجب .. الآن طبق من الأرز باللبن الذى تعشق سيهدأ من أعصابها قليلا .. دخلت المطبخ و فتحت الثلاجة بشوق لطعم الأرز باللبن لتفاجئ بها خالية تماما!

نظرت في جميع جوانبها غير مصدقة ما ترى! أين الأطباق الثلاثة الذين تركتهم هاهنا قبل أن تتوجه للحاج حسن بطبقه؟! و كانت الإجابة تنهيدة راحة و استمتاع أتتها من خلف طاولة المطبخ جعلتها تنتفض في ذعر قبل أن تتقدم عدة خطوات لتجده .. نعم .. تجد ياسين يجلس القرفصاء مستندا على الحائط خلفه مغمض العينين منتشياً و حوله أطباق الأرز باللبن خاصتها و لكن .. فارغة!

هتفت ساخطة:"ماذا فعلت بأطباقي العزيزة؟"

تنبه لوجودها ففتح عينيه بتثاقل:"لم أفعل شيء تذوقتها"

هتفت و سخطها يتزايد:"تذوقتها! هل التّذوق عِندك بالأطباق؟"

انفجر في إحدى نوبات ضحكه الصاخبة لملاحظتها و لم يعقب فاستطردت و هي تكز على أسنانها غيظا:"أنت حتى لم تترك لي طبقا واحدا فقط لأتذوقه مثلك"

هتف وهو ينهض ليشرّف عليها بفانلته الداخلية التي

اصطبغت باللون الوردي مما كاد يدفعها للضحك فهي إحدى معاركها الناجحة معه ليقول بأسف:"في هذه أنتِ محقة، لقد تناولت الأطباق الثلاثة وأنا مغيب تماما من روعة الطعم"

تبدلت حالتها المزاجية بشكل عجيب لتسأله باهتمام:

"هل أعجبك حقا؟"

هتف مؤكدا:"جداااا .. أعجبني جداااا ..إنه يشبه ذاك الذي كانت تصنعه أمي منذ زمن بعيد و منذ رحلت لم أتذوق مثله الآن و أنا أتذوق" وابتسم مستطرداً:"أقصد أتناول أطباقك المذهلة تذكرت أمي مع كل قضمة"

همست و دمع ما يتراقص في مآقيها لا تعرف لم؟! لكن كلماته لمست وترا حساسا داخلها جعلها تتذكر أمها التي تشتاقها و ما إن يزيد الاشتياق الحد حتى تهم بصنع الأرز باللبن الذي علمتها كيفية صنعه على طريقتها قبل أن تسافر مبتعدة حتى إذا ما اشتاقت لجو العائلة و لرائحة أمها صنعته متوهمة أن أمها هي الصانعة و أنها لازالت هناك حيث

أحضان أبويها الدافئة و جدران بيتهم العتيقة تضمهم جميعا..

كلامه وصل بشكل عفوي لمكنون قلبها و تفوه به بشكل تلقائي جعل الدمع يترقرق في المقل دون جهد يذكر ..

همست بشجن:"ما أروع ما تصنعه الأمهات! إنه دوما يحمل نكهة المحبة الخالصة .. سعيدة أن اطباقي ذكرتك بأمك رحمها اللّه"

همس بدوره ممتنا:"وأنا أشكركِ .. فلقد أعدتِ لي ذكراها وأنفاسها العطرة بمذاق أطباقكِ"

ثم استطرد مازحاً وهو يربت على معدته البارزة قليلا:"كما أن معدتى تشكرك من صميم أعماقها، فأنا أسمعها تزغرد الآن"

انفجرت ضاحكة لتعليقه الساخر .. تعالت ضحكاتها في أركان هذا المنزل ربما للمرة الأولى منذ مجيئه إليه ..

استرعت ضحكاتها الرقيقة انتباهه فتفرس فيها باهتمام لا إرادي .. سكتت ضحكاتها على نحو مفاجئ عندما أدركت

تفرسه فيها واصطبغت وجنتاها بلون وردي خجلاً واندفعت من أمامه متعثرة تحتمي بجدران غرفتها كالعادة وتتبعها نظراته المتعجبة و قد نسيت تماما حقدها عليه و نسيت أمر يافطتها الملقاة في الشرفة!

****

نهضت منتفضة من فراشها عندما تناهى إلى مسامعها بعض الضوضاء و صوت إحدى الآلات التي تثقب الجدران .. ارتدت مئزرها و غطاء رأسها و اندفعت للخارج تستفهم عما يحدث .. وجدته يقف و معه أحد العمال و عدة صناديق كرتونية مبعثرة هنا و هناك ..

هتفت بتساؤل حانق:"ماذا يحدث هنا؟"

كاد العامل يتوقف عما يفعل لكن ياسين أشار إليه بالاستمرار في عمله و تنحى بها جانبا وهو يقول:"أضع شاشة تلفاز في الردهة الخارجية"

هتفت بحنق:"لكنك لم تستأذنني أولا"

سأل مدعيا التعجب:"و هل عليّ ذلك؟ إنها شقتي بالمناسبة"

هتفت بحنق:"و شقتي أنا أيضا.. رجاءً لا تنسى ذلك

وعليك الاستئذان قبل أن تدق مسمارا في أحد حوائطها"

ابتسم ساخراً:"لن أفعل .. و المسمار سأدقه متى يحلو لي"

ونظر لرأسها من عليائها ليستطرد جزلاً :"و حيث يحلو لي"

تركته واندفعت لحجرتها تغلق الباب بعنف كعادتها لينفجر

ضاحكاً كعادته ..

دارت حتى أُنهكت داخل غرفتها محاولة تفريغ شحنة غضبها

و حنقها تجاه ذاك الوقح بالخارج و فكرت .. لابد لها من عمل شيء .. أي شيء تجاه وقاحته و تجرأه عليها ..

تنبهت أخيرا أن الضوضاء قد اختفت منذ فترة فاستنتجت أن

العامل قد رحل .. عليها مواجهته الآن ..

اندفعت خارج حجرتها حيث وجدته يجلس القرفصاء أمام

شاشة التلفاز و بيده إحدى أذرع جهاز الألعاب الذي يحبه ..

وقد فقد أي انتباه لسواه حتى أنه لم يتنبه لدخولها الردهة

ووقوفها تشاهد عينيه المعلقة بالجهاز بهذا الشكل الطفولي

ادّعت الجهل وسألت:"ما هذا؟"

انتفض متنبها أخيرا لوجودها ليجيب و هو يدفع نظراته إليها:"إنه جهاز للألعاب الالكترونية"

و تناول الذراع الأخرى للّعب و مد يده بها إليها متسائلا:

"هل تحبين تجربته"

كانت بانتظار عرضه الذي كانت على يقين من تقديمه لتجلس القرفصاء جاعلة مسافة أمنة بينهما و هي تتناول الذراع ..

أخذ هو في عرض الألعاب الذي يحتويها الجهاز و التي تحفظها عن ظهر قلب ولكنها ادّعت الجهل بها وهتفت:"ما الذي تفضله أنت من ألعاب؟"

أجاب بعفوية:"كرة القدم بالتأكيد"

أكدت بثقة:"فلتكن إذن كرة القدم"

هتف:"لست مجبرة على لعب كرة القدم لأجلي.. يمكنك اختيار ألعاب أسهل .. لكِ مطلق الاختيار"

أكدت من جديد:

"وها أنا قد اخترت أم أنك تخاف الخسارة؟"

قهقه ملء فيه حتى كاد يسقط على ظهره و تركته هي يقهقه كيفما شاء ونظرت إليه نظرات واثقة من انتصارها وما إن هدأت نوبة ضحكه حتى سألها:"أي فريق تختارين؟"

أصرت على تأكيد جهلها ولم تذكر اسم الفريق المشهور عالميا لتهتف:"الفريق الأبيض"

ليضحك من جديد مؤكدا:"هو لكِ و أنا سألعب بالفريق الآخر "

و ابتدأ اللعب وما هي إلا لحظات حتى كان هدفها الأول يمزق شباك مرمى فريقه .. ابتسمت ببراءة عندما وضع ذراع اللعب من يده محملقا فيها لتهتف مبتسمة بوداعة:

"حظ المبتدئين على ما أظن"

أقر بإيماءة من رأسه:"نعم حظ المبتدئين .. صدقتِ"

و استمر اللعب وصرخاتهما تتعالى كلما أحرز أحدهما هدفا

وأخيرا.. انتهت المباراة بهدف أحرزته هي في الثواني الأخيرة لتقفز من مكانها منتشية و تهلل قافزة بفرحة فها هي تنتصر عليه وفي أحب الألعاب لقلبه..

ظلت هي تتقافز بسعادة و هو يتفرس سعادتها بعيون خبيرة جعلتها أخيرا تتوقف عن نشوة انتصارها ليهتف هو في تساؤل مريب:"ليست المرة الأولى التي تلعبين فيها.. أليس كذلك"

هتفت متعجبة:"وهل سيشكل ذلك فرقا مع سيادتك؟"

نهض هاتفاً بسخط:"بالطبع فقد كنت ألعب أسوأ مبارياتي لأجلك بينما أنتِ تدّعين الجهل باللعبة و قواعدها"

"أنت تعلق فشلك على شماعة الأعذار"

هتف بسخط متزايد:"أنا لست فاشل بل أنتِ المخادعة"

هتفت بغضب:"أنا لست مخادعة .. يا فاااشل"

اندفعت مبتعدة عنه و ما إن وصلت لغرفتها حتى هتفت بأعلى صوت:"فاااشل"

ليرد عليها هو ساخطا:"مخاااادعة "

ليذهب صراخه أدراج الرياح وهي تصفق باب غرفتها المسكين.

أخيراا خرج من الشقة و كم كانت تنتظر تلك الفرصة بفارغ الصبر .. ما إن تأكدت أنه ابتعد بسيارته التي اشتراها حديثا حتى تنهدت والتقطت جوالها واتصلت بذلك الرقم الذي حفظته من أجل تلك الفرصة ..

دقائق وكان النجار أمام باب الشقة يغير كالون الباب ويسلمها المفتاح الجديد..

تسلمته من النجار وكأنها تسلمت مفتاح باب الجنة وأخذت ترقص وتقفز فرحا على رنات المفتاحين المعلقين معا في سلسلة مفاتيحها ..

ألقت المفاتيح على طاولة بالقرب من الباب و اندفعت في كل أرجاء الشقة و كأنها تتنفس أخيرا بحرية في غير وجوده الذى يعكر صفو حياتها ويقضى على حريتها والتي اعتادت دوما عليها خاصة مع الوحدة التي عاشتها في غربتها ..

اندفعت لحجرتها تلقي بإسدال صلاتها الذي أصبح الزي الرسمي الذى ترتديه في وجوده أو حتى في غير وجوده خوفا من ظهوره المفاجئ.. أصبحت بحق لا تطيق حبسها الانفرادي في حجرتها وعدم قدرتها على التجول في شقتها كيفما يحلو لها.. فتحت خزانة ملابسها وأخذت تنتقي منها ما تشاء .. وقع اختيارها على فستان رقيق بلون الأبنوس يعكس لون بشرتها المشرب بالحمرة و يظهرها بأنوثة طاغية .. عندما اشترته لم تعرف أنها يوما ما ستُجن وترتديه فهو خليط من الشيفون والساتان مع بعض الزهور الملونة على جانبي صدره المفتوح بسخاء وأطرافه القصيرة التي بالكاد تصل لركبتيها.. ارتدته ولم تصدق أنها هي من تقف أمام المرآة .. فقد اختلفت الصورة تماما عن صاحبة الإسدال وكأنهما توأمتين .. إحداهما نقية طاهرة والأخرى ماجنة متحررة .

ابتسمت لصورتها في المرآة وهي تهمس لنفسها:"ما المانع من

بعض الجنون؟ دقائق من استعادة الحرية المفتقدة لن يضر أحد"

تركت شعرها القصير الذي يتموج حتى يلامس كتفيها بالكاد وضعت بعضا من أحمر شفاه قانٍ جعل شفتيها كحبتي كرز وارتدت حذاءا بكعب عالٍ ليضيف بعضا من السنتيمترات لقامَتها فيزيدها ثقة ورغبة في التحدي .. ظلت كثيرا تؤجل التفكير في ردة فعله عندما يأتي و يعرف بما حدث و يجد نفسه بالخارج وهي بالداخل ومعها مفاتيح الشقة وأن عودته لهذه الشقة أمر من الماضي.. فليلجأ للقضاء ويبقى الحال على ما هو عليه.. هي بالداخل و هو بالخارج .

لكنها تساءلت.. هل يمكن له أن يكسر الباب؟!

هل يمكن أن يتصل بالشرطة لتمكنه من الدخول؟!

الكثير من (هل) قفز لذهنها لكن حاولت هي قدر استطاعتها طرد كل تلك التساؤلات بعيد والاستمتاع بلحظات الحرية الوليدة.. خرجت بكامل أناقتها للردهة

الواسعة وفتحت جهاز التسجيل تختار أكثر الأغاني صخبا لعلّ ذلك يجعلها تخرج شحنة التوتر التي تعتريها في انتظار رد فعله ..

ظلت تتقافز على أنغام الموسيقى و انتفضت ساكنة فجأة عندما تناهى لمسامعها طرقات قوية على الباب .. إنه هو .. هي تعرف ذلك .. حسنا حان وقت المواجهة .. اتجهت لجهاز التسجيل لترفع من صوت الموسيقى المنبعثة منه حتى تطغى على ارتفاع طرقاته على الباب ..

تمايلت في سعادة ورقة وهي تؤكد لنفسها "انسيه يا مي، انسيه و انسي طرقاته الصاخبة وركزى مع صخب الموسيقى و نغماتها"

تمايلت وتمايلت ونسيته تماما.. نسيت كل شيء وأي شيء إلا تلك الموسيقى التي تعشقها والتي تسللت إلى مسامها وأنستها حتى نفسها!

عاشت لحظات من رقة ومجون وهي تتمايل، لحظات لم تحظَ

بها أبدا في حياتها وأدركت فجأة أنها أنثى، امرأة نسيت كيف تكون نفسها وكيف تعيش كامرأة حقيقية وأنها بحق دفنت نفسها و سنوات عمرها في دور فرض عليها وعليها الآن أن تصبح أنانية ولو قليلا..

بعض الأنانية لن يضر أحدا.. بعض الأنانية هو كل ما أنا بحاجة إليه ..

توقفت الموسيقى فتوقف تمايل جسدها تلقائيا وتنهدت و هي تلتقط أنفاسها وتفتح جفونها المسدلة منذ بدأت الموسيقى تسيطر على كيانها و تشعرها أنها انتقلت لعالم آخر ..

فتحت جفونها لتصرخ شاهقة وهي تراه يقف أمامها بغطرسة مقيتة يستند بجسده على الطاولة بجوار الباب و يضع إحدى قدميه الممتدة بأريحية على الأخرى وقد بدأ يصفق في استحسان و كأنها كانت تقدم عرضا خاصا لأجله ..

والغريب أن ملابسه تقطر مياه .. كانت بالفعل مبتلة تماما .. حتى شعره قد أصبح مبللا بفعل المياه و تناثرت خصلاته

بشكل عشوائي ..

تمالكت نفسها صارخة:"أنت .. أنت .. كيف دخلت إلى هنا؟"

هتف ساخراً مغيظا إياها:"أنا لي أساليبي الخاصة

وأساليبك البلهاء تلك لن تفلح معي"

تذكرت هيأتها و ما ترتديه فصرخت في صدمة واندفعت

للداخل تكاد تسقط على وجهها من شدة اندفاعها وهي

ترتدي ذاك الحذاء ذو الكعب العال ..

أغلقت باب غرفتها كالعادة بعنف وسقطت على فراشها

تبكي قهرا وغيظا فمحاولاتها للاستئثار بالشقة قد باءت

بالفشل و أي فشل! إنه فشل ذريع .. فهي لم تخسر مجرد فرصة

سانحة لاستعادة شقتها وحريتها المفتقدة .. لكن الأدهى

هو أنه رآها و هي على هذه الحالة المجنونة.. و بهذا الشكل

المتحرر..

و زاد نحيبها و هي تتساءل:"منذ متى يا ترى كان هناك

يشاهدني و أنا أتمايل بهذا الشكل الماجن؟"

كالعادة سمع صوت صفق باب حجرتها وكالعادة ابتسم بسخرية ونهض يتناول تلك المفاتيح الملقاة على الطاولة التي كان يستند عليها جذب إحدى نسختي المفاتيح الجديدة للشقة وأخرجها من جوار أختها ووضعها في سلسلة مفاتيحه الخاصة ودخل لغرفته يخلع عنه ملابسه المبتلة ..

لقد خرج مضطرا عندما استدعاه أحد زملاءه من أجل حالة حرجة في غرفة العمليات لم يستطع التعامل معها ولن يستطع أحد التعامل معها سوى الدكتور ياسين نور الدين فاندفع مهرولا و لم يضع أبدا في حسبانه أنها ستقوم بمثل تلك الخدع الحمقاء ..

أنجز مهمته بنجاح و عاد ليجد أن لا موضع لسيارته أمام البناية فاضطر لوضعها في مكان أبعد و عاد مترجلا في ذاك الجو الماطر ..

كان قد ابتل تماما عندما وصل إلى مدخل البناية حتى أن الماء تسرب إلى سترته الثقيلة و أصبح الماء إن

وصل للطابق الذي يقطنه حتى تناهى لمسامعه ذاك الصوت المرتفع للموسيقى والقادم و للعجب من شقته!

أخرج مفتاحه يحاول فتح الباب ولا فائدة، حاول معالجة الباب أكثر من مرة بمفتاحه لكن الباب لا يستجيب .. وأخيرا أدرك سر الفرحة والاحتفال الدائر بالداخل ..لقد فطن أنها غيّرت كالون الباب وأصبح بالفعل خارج الشقة ولها الحق في الاحتفال بانتصارها المزعوم ..

لكن يضحك كثيرا من يضحك أخيرا ..

ترك الباب بعد عدة طرقات قوية لم تستجب لها بطبيعة الحال و طرق باب الحاج حسن ليستعير منه أداة حادة يستطيع بها معالجة الباب لفتحه متحججا أن مي لا تسمع طرقاته من صوت الموسيقى العالي ..

عالج الباب بالفعل وابتسم من سهولة فعله ذلك والفضل يعود لها.. فقد نسيت في غمرة فرحتها أن تغلق الباب بالمفتاح الجديد مما سهل مهمته في معالجة قفل الباب ليفتحه

بسهولة و لا تنتبه هي بسبب صخب الموسيقى ..

لا ينكر مطلقا أنه ذهل عندما رآها على حالها.. فلقد ظن أنها ليست مي .. لقد تبدلت كليا! أين تلك المتجهمة صاحبة الإسدال التي تتعرقل دوما فيه لقصرها؟!

إنه يرى الآن نقيضتها تماما.. فتاة متحررة بفستان أبنوسي وطلاء شفاه صارخ و حذاء ذو كعب عال أضاف لطولها طولا فجعلها ممشوقة القد ..

تمايلت أمامه برشاقة وخفة رائعة و تذكر كيف أنه شهق مصدوما عندما طالعه صدر فستانها!

إن هذه المرأة استثنائية بالتأكيد، كيف يمكن لها أن تجمع كل تلك الصفات المتناقضة في كيان واحد؟!

كيف يمكن لها أن تكون بتلك البراءة التي تكون عنوانا لها و هي ترتدى إسدال صلاتها الذي لا ترتدي غيره تقريبا ويشع وجهها طهرا و عفة؟!

و فجأة تنقلب لامرأة أخرى تماما قادرة على إغراء أعتى الرجال

بإشارة من إبهامها و بدون مجهود يذكر؟!

دس نفسه في فراشه و تدثر بالأغطية جيدا وقد شعر أن البرد ينخر عظامه ..

وعاوده التفكير فيها من جديد وهو يعطس بقوة محاولا طرد البرد الذى يدق بابه .. أغمض عينيه وهو يعلم علم اليقين أن طرد البرد أسهل كثيرا من طرد صورتها بردائها الأبنوسي و قدها المتمايل من مخيلته .

الفصل السادس

تسللت بهدوء من غرفتها تتلفت حولها حتى تصل للمطبخ فهي تشعر بجوع قارص دفعها للخروج من مخبئها في تلك الساعة المتأخرة من الليل لتبحث عن طعام بعد أن نفذ مخزونها الاستراتيجي من الشوكولاتة والذي تحتفظ به في أدراج طاولة الزينة ..

خطت عدة خطوات خارج الغرفة وفي منتصف الطريق للمطبخ سمعت صوته يهتف بوهن:"تتسللين لتحضير كارثة جديدة من كوارثك"

تسمرت في مكانها للحظات ثم استدارت لمواجهته و هي تتخصر هاتفة:"أنا لا أنتوي تحضير أي كوارث.. أنا ذاهبة لتحضير عشاء متأخر .. هل هناك اعتراض؟"

أشاح بذراعه بوهن وهو يقول:"فلتفعلي ما يحلو لكِ.. الأهم أن تبتعدي عن طريقي للحمام لأنني...."

ولم يكمل كلماته وهو يترنح مستندا على الجدار

المجاور له بعد أن قام بجهد مضن ليتابع حديثه معها ..

اندفعت هي لا إراديا لتسنده بكل ما أوتيت من قوة، كان مظهرهما كجبل يستند على عشبة ندية ..

بلا اتفاق دفعت جسده لحمامها القريب وساعدته حتى وصل لعتبته بعد أن أضناهما التعب سويا .. و ما إن وصل له حتى كانت معدته تئن ألماً و لم تهدأ حتى أفرغت ما بها كله للخارج ..

وقفت على عتبة باب الحمام لا تعرف كيف تتصرف .. هل تدخل لتؤازره أم تبتعد ليأخذ حريته دون شعور بالحرج في وجودها؟!

انتهى قبل أن تتخذ قرارها وتأوه بشكل جعل قلبها يترنح ألماً لأجله.. لا تعرف لِمَ لم تتوقع أن يمرض مثل باقي البشر؟!

تناولت كفه التي ناولها إياها في أريحية وأسلمها زمام أمره دون أي اعتراض.. كان بحق لا حول له ولا قوة.. استند عليها و هي تحاملت على نفسها حتى أوصلته لباب غرفتها.. فما

كان هناك لا قوة من قبله ولا طاقة احتمال من قبلها لتسير به حتى غرفته في آخر الرواق ..

دفعت باب حجرتها ليساعهما وأخيرا .. نفذت طاقتها معا .. لم يعد هو قادرا على الوقوف للحظة ولا هي قادرة على احتمال ثقل جسده على أكتافها لثانية أخرى ..

سقط على فراشها كشجرة ضخمة اجتثت من جذورها و هي أيضا لم تستطع التوازن فسقطت رغما عنها فوق صدره أو بالأدق فوق بطنه البارز .. شهقت رغما عنها وهي تحاول التماسك للنهوض مبتعدة.. رفع هو رأسه وسط محاولاتها النهوض ليهتف ساخراً بصوت وَاهن:"محاولة إغراء لا بأس بها ولكن يمكن تأجيلها حتى أتعافى"

و ألقى برأسه للوراء من جديد .. كانت هي بالفعل نهضت مبتعدة عنه .. استشاطت غضبا عندما التقطت أذناها كلماته المتهكمة ..

كادت تهتف برد لاذع إلا أنه سبقها معتدلا على الفراش

بصعوبة جاذباً الغطاء على جسده و أشار لها بالخروج

وهو يهمس بنبرات صوته التي تخرج مذبذبة:

"فيما بعد .. الآن وداعا"

خرجت و أغلقت الإضاءة و الباب خلفها وقد احتل حجرتها

وفراشها و تفكيرها أيضا.

****

فقدت شهيتها تماما بعد أن رأته بهذا الشكل وفكرت هل من

الأفضل تركه ينام دون إزعاج أم عليها إحضار طبيب

لمعاينته؟!

داهمها النعاس فالساعة الآن تخطت الرابعة فجرا بقليل

ولكن أين يمكنها النوم وهو قد احتل حجرتها؟!

تسللت على أطراف أصابعها و دخلت حجرته و تنبهت

لحركتها المبالغ فيها فابتسمت لنفسها ببلاهة .. لماذا

تتسلل وهي تدخل لحجرته إذا كان هو نفسه ليس فيها بل

في غرفتها في تلك اللحظة؟!

همست لنفسها مبررة:"لابد أن هذا من أثر الجوع و قلة النوم" .. عليها أن ترتاح قليلا حتى تستطيع النهوض لمباشرته فتحت الإضاءة الجانبية الخافتة بالحجرة ووصلت لمرتبته الأرضيّة وانحنت لتدس نفسها أسفل غطاءه والعجيب أنها شعرت بدفء محبب يتسلل إليها باعثا في نفسها الشعور بالطمأنينة والراحة .. فراحت في نوم عميق.. داهمتها فيه الكثير من الأحلام والأضغاث حتى انتفضت أخيرا على إحداها مستفيقة من نومها المضطرب ..

مدت كفها تتناول جوالها لتعرف كم الساعة و ما إن طالعت شاشته حتى اكتشفت أنها نامت أقل من الساعة بقليل مدت يدها تعيد هاتفها للطاولة من جديد فاصطدمت بإطار لصورة فوتغرافية كادت أن تسقطها أرضا لولا أنها جاهدت لإنقاذها لتسقط في أحضانها .. تنهدت بأرتياح وأمسكت بالصورة تعيدها ولكن تجمدت يدها في منتصف المسافة للطاولة لتعيد الصورة مرة أخرى لمرمى بصرها لتدقق النظر بها ..

إنها صورة لشقراء رائعة تبتسم ببراءة وعيونها تحمل مرح الدنيا و شقاوتها..

من هذه؟! كان السؤال الأول الذي تبادر إلى ذهنها، لم تفكر مطلقا أن ياسين هذا كان له حبيبة سابقة أو خطيبة لم يسعده الحظ بالاقتران بها ..

همست لنفسها .. يبدو أنه كان يحبها كثيرا ولايزال حتى يحتفظ بصورة فوتغرافية لها في إطار ذهبي رقيق بالقرب من فراشه ..

شعور عجيب اكتنفها وغمرها كليا.. شعور لا تعرف له تفسير و لا تستطيع حتى أن تصفه وتعطي له مدلول محدد، شعور دفعها لتضع الصورة الفوتغرافية بعنف على الطاولة قبل أن تنتفض مبتعدة لتذهب حيث ذاك الذي احتل فراشها وجعل النوم يجافي جفونها حتى تلك الدقائق التي غفت فيها لم تخلُ من محياه متجسدا في أضغاث أحلامها ..

قبل أن تندفع من الغرفة عادت وألقت نظرة سريعة بفضول

على محتوياتها.. حقيبته المفتوحة البارز منها ملابسه وأغراضه، المرتبة الملقاة أرضا والتي كانت تفترشها منذ قليل، حقيبته الطبية الصغيرة التي يحتفظ فيها بكل الأوراق الهامة و ملفاته الطبية وبعض الأزواج من الأحذية بعضها رياضي و الآخر كلاسيكي .. قفزت على شفتيها ابتسامة لا إرادية عندما طالعت تلك الأحذية وبدأت في تخمين مقاسها.. وبشكل عفوي اقتربت من ذاك الجانب الذي يحتويها و خلعت خفها المنزلي و دست قدمها في إحداها لتشهق ثم تنفجر مقهقة عندما رأت قدمها يغوص في فردة حذائه .. كانت أشبه بطفلة قررت أن تجرب حذاء أبيها .. أخرجت قدمها من عمق الحذاء واتجهت لتخرج من الغرفة و لا تعرف لِمَ توجهت نظراتها لاإراديا للصورة وصاحبتها المفعمة بالحياة فاندفعت مغادرة وكأن صاحبة الصورة تتعقبها .. فتحت باب غرفتها ببطء ودلفت للداخل في حذر حتى وقفت بالقرب من الفراش ليطالعها محياه ممددا في منتصفه وعلى ما

يبدو دارت ها هنا معركة بينه وبين غطاء السرير الذي تراه الآن ملفوفا حول إحدى ساقيه.. اقتربت ووضعت كفها على جبينه لتشهق هي من شدة احتراق جبينه وينتفض هو من لمستها دون أن يستيقظ.. دارت حول نفسها لا تعرف كيف تتصرف في مثل تلك الساعة!

و أخيرا اندفعت لشقة الحاج حسن تدق بابه الذي فتح أسرع من عادته لأنه كان يصلي بالقرب من الباب ..

هتف متسائلا عندما طالعه وجهها المذعور:"خيرا يا ابنتي؟"

هتفت بتوتر:"أسفة يا حاج .. لكن .." وأشارت لباب شقتها "ياسين حرارته مرتفعة جدا و لا أعرف كيف أتصرف في مثل هذه الساعة"

أجاب مطمئنا:"لا عليكِ يا ابنتي .. عودي إليه وأنا سأخبر عِوَض بأن يحضر الطبيب الذي يقطن على بعد بنايتين من هنا.. نحن دوما نستدعيه للطوارئ .. عودى الآن و ابقي بجانبه"

أومأت برأسها إيجابا واندفعت لشقتها في انتظار الطبيب

و في طريقها للغرفة أحضرت منشفة نظيفة وبعض الماء

الفاتر .. دلفت للغرفة ووضعتهما على الطاولة بجوار السرير

وجلست جواره تبلل المنشفة و تضعها على جبينه المستعر ..

وصلت درجة هزيانه لمستوى أعلى من حرارة جسده المنتفض

و أصبح يلقي بهمهمات غير مفهومة بالمرة .. لكنها استطاعت

تمييز اسم كرره عدة مرات بوضوح "هاجر"!

هل هي تلك الشقراء التي يحتفظ بصورتها بالقرب من

فراشه؟!

أعادت المنشفة للماء الفاتر مرة أخرى وفي منتصف الطريق

لجبينه سقطت المنشفة في حجرها وشهقت هي مصدومة

حتى أنها لم تنتبه للمياه التي بدأت تتسلل لعباءتها فاسمها

الذي بدأ يهمس به الآن وطريقة نطقه إياه جعلت الدماء

تتجمد في عروقها .. التفتت إليه فقد اعتقدت أنها أُصيبت

بعدوى الهذيان هي الأخرى .. لكن اسمها الذي كان

يكرره الآن لا يمكن أن تخطئه أذناها ..

التقطت أنفاسها بصعوبة وانحنت قليلا تهمس بالقرب من أذنه:

"أنا هنا ياسين .. ستكون بخير .. أنا بقربك"

كانت تتوقع أن كلماتها ستجعله يهدأ ويستكين ويتوقف عن تكرار اسمها وترديده بهذا الشكل الذي يجعلها تفقد ثباتها ويتحرك بداخلها شيء ما لا تستطيع إدراك كنهه، شيء يشبه حنان أمومي عزته لحالته التي تراه عليها الآن ..

انتفضت والتقطت المنشفة التي شعرت ببردتها أخيرا من حجرها و ألقت بها داخل طبق الماء واندفعت تفتح باب الشقة الذي تناهى لمسامعها عدة طرقات عليه ..

فتحت على عجل ليطالعها الحاج حسن و من خلفه الطبيب

أفسحت الطريق ودلتهما على الغرفة بإشارة صامتة من يدها ..

غاب الطبيب دقائق وما إن قررت اللحاق به إلا و كان مغادراً الغرفة يتبعه الحاج حسن مستفسرًا ..

أقرّ الطبيب بهدوء وهو يكتب وصفته الطبية:"سيكون بخير

إنه يعاني من برد شديد، عليكم الاعتناء بطعامه فلا يأكل إلا مسلوق وإعطائه الدواء بانتظام ثلاثة أيام وسيكون على ما يرام .. وقبل أن أنسى أنه غارق في عرقه نتيجة الحمى لن أوصيكِ" قالها لمي و هو ينظر إليها: "عليكِ بتغيير ملابسه بشكل دوري كلما عاودته الحمى"

اصطبغ وجهها بلون قان وحمدت ربها أنها لم تعترض برعونة كعادتها ..

جذب الطبيب الورقة التي دوّن بها دواءه من دفتره ليختطفها الحاج حسن قبل أن تلتقطها يد مي وينظر لها نظرة معاتبة وهو يصطحب الطبيب للخارج ..

تبعتهما مي شاكرة الطبيب و همس لها الحاج حسن بأنه سيرسل عِوَض لشراء الدواء ..

ابتسمت له ممتنة بوهن.. ربت على كتفها بحنو أبوي و أشار لها لتعود للاعتناء بزوجها .

عادت للغرفة لا تدري ماذا تفعل! و تاهت في كلمات الطبيب

حتى سمعت الطرق مجددا على باب الشقة .. فتحت ليطالعها عِوَض و هو يفرك عينيه ليطرد أثر النعاس وهو يناولها الدواء الذي ابتاعه .. مدت كفها تنقده ثمنه مع إكرامية كبيرة جعلت النوم يهرب من عيونه التي رقصت فرحا وهو يهتف بالدعاء لسلامة الدكتور ياسين .. ابتسمت مي ودخلت لتباشر مهمتها من أجل أن يتعافى عدوها اللدود .. و يعود لحجرته ويتركها تلوذ من جديد بمخبأها الوحيد .. جدران حجرتها التي تفتقدها و بشدة .

الفصل السابع

دخلت للمطبخ ووضعت الدواء جانبا وقد قررت تأجيل تغيير ملابسه بعض الوقت حتى تبدأ في استيعاب الفكرة ..

الآن هي تفكر في وضع بعض الحساء على النار حتى يتناوله ما إن يستيقظ ..

بدأت تعد الحساء بشكل آلي وعلى الرغم من أنها لم تنم تقريبا إلا أنها شعرت أنها متيقظة بكل حواسها ..

انتهت من إعداد الحساء .. ماذا عليها أن تفعل بعد؟!

بشكل لاإرادي يحاول عقلها ترتيب العديد من المهام التي تلهيها عن مهمتها الأساسية الآن ..

قامت بكل ما يمكنها فعله والآن حانت اللحظة الحاسمة ..

دخلت لغرفته وانحنت تبحث في حقيبته عن ملابس نظيفة وجافة تستبدلها بتلك التي بللتها الحمى ..

تناولت فانلة داخلية بلون وردي و سترة قطنية خفيفة وتنهدت وهي تتوجه لغرفتها حيث لايزال على حاله

يهمهم بحروف عشوائية على الرغم أن حرارته بدأت في العودة لوضعها الطبيعي، وضعت الملابس جانبا على طرف الفراش و اقتربت وهي تؤكد لنفسها:"اعتبريه أحد مرضاكِ إنه بالفعل مريض ويحتاج مساعدتكِ.. اعتبريه كذلك .. حسنا إنه كذلك"

تشجعت و اقتربت منه.. بدأت في فك أزرار سترته و ما إن انتهت حتى تنهدت جاء الجزء الأصعب من المهمة .. كيف تخلع عنه سترته؟!

جاءت من تحت كتفه و مررت ذراعها ودفعته عن الوسادة بكامل طاقتها ليستقيم قليلا ودفعت نفسها خلف ظهره.. زفرت أنفاسها بإرهاق وهي تثبت الجزء الأعلى من جسده المترنح بكفيها الممسكتين بكتفيه ولكن ما هي إلا ثوان حتى ثقل الجسد على كفيها الضعيفتين فاندفع جسده مسترخيا على جسدها الذي أصبح الآن محشورا بين ظهر الفراش و ظهره المتكئ عليها ..

تحاملت على نفسها وخلعت أخيرا الذراع الأيسر لسترته وجذبتها من تحت جسده وأخيرا خلعت الذراع الأيمن لتحرره بأعجوبة من سترته ..

التقطت أنفاسها بنفاذ صبر .. فلازال الجزء الأصعب لم يُنجز بعد.. ارتجفت عندما سمعت همساته تكرر في نبرة مهزوزة وحروف مضطربة "أشعر بالبرد" و بدأ يرتجف بالفعل والأدهى من ذلك أنه بدأ يتشبث بها ويحتمي في أحضانها من ارتجافاته المتتابعة ..

لم يسعها إلا أن تهمس له في صوت ترتجف نبراته كصاحبته "اهدأ، أنا هنا.. وسأدثرك حالا.. فقط حاول أن تساعدني قليلا أرجوك"

بالطبع لم يستمع أو يع أي من كلماتها بل زادت ارتجافاته لأن فانلته الداخلية كانت بالفعل مبللة من أثر الحمى بشكل ينذر بالخطر إذا لم يتم تبديلها بواحدة جافة وفورا ..

تحاملت على نفسها و فكت تشبثه بها و بدأت في جذب

أطراف الفانلة حتى تخرج يده منها وهكذا سهلت المهمة في الجانب الآخر.. ألقت بالملابس المبللة بعيدا وتناولت بصعوبة الملابس الجافة من على طرف الفراش حيث وضعتها و بدأت في إلباسه إياها وتذكرت كيف كانت أمها تلبس ابن أختها الصغير ملابسه بطريقة محترفة في ثوان معدودة .. حاولت اتباع نفس الطريقة، بالفعل سهلت عليها كثيرا لكن ثقل وزنه على جسدها المطحون بين ظهر الفراش الخشبي وظهره جعلها تئن ألماً ما إن انتهت من مهمتها الانتحارية ..

جذبت نفسها بأعجوبة ليسقط جسده مترنحا على الفراش .. شهقت ذعرا لكن حمدت ربها أن رأسه كانت بعيدة بما يكفي حتى لا ترتطم بظهر السرير الخشبية .. بدأت في محاولات وضع جسده باعتدال على الوسادة وأخيرا جذبت الغطاء على ذاك الجسد الذي أنهكها حد اللامعقول واستنفذ قدرتها وثباتها حد اللانهاية ..

تأكدت أن حرارته عادت إلى معدلاتها الطبيعية إلى حد كبير .. عزت ذلك للمحلول الذي رأت الطبيب يحقنه به .. تنهدت براحة و تناولت ملابسه المبتلة و خرجت من الغرفة وأغلقت بابها خلفها وهي تكاد تموت إنهاكا ورغبة في النوم تجبر أجفانها على الإطباق رغما عنهما ..

توجهت لحجرته وألقت بنفسها على مرتبته وتدثرت بغطاءه ولم تنس أن تولي ظهرها لصورة فوتغرافية بإطار ذهبي لفتاة شقراء فاتنة .

****

ما كل تلك الرؤى والأحلام التي راودته؟!

وما كل تلك الخيالات التي داهمت مخيلته و هو راقد في سبات عميق ولا قدرة له على الاستيقاظ منه؟!

رأى أشخاصا لم يرهم منذ سنوات وأشخاص رحلوا عنه ولم يعودوا في دنياه وأشخاص كاد الشوق إليهم يقتله ..

و أشخاص قابلهم منذ أشهر قليلة لكنه وجد نفسه متعلقا

بهم وكأنه يعرفهم منذ عمر طويل..

ومن بين كل تلك الأوجه لم يتذكر إلا وجه واحد،

وجه لفتاة قصيرة القامة، هادئة الملامح، ضحكاتها تذيب

الجليد و نظراتها يمكن أن تقتلك أو تحييك

كيفما شاءت .. ووقتما شاءت ..

تقلب في الفراش وبدأت جفونه ترفرف منذرة باستيقاظه

ورائحة ما تتغلغل إلى حيث روحه لتوقظ بواعث شوق كامن

هناك، شوق غادره منذ زمن بعيد و لم يعد، شوق إلى أحضان

دافئة و قلب كبير و عقل متفهم ..

فتح عينيه و تطلع بذهول إلى كل ما يحيط به و بدأ عقله

يعمل بسرعة كبيرة حتى توقف به على مشهد استناده عليها

وهو خارج يترنح من الحمام بعد أن افرغ كل ما بمعدته ..

كل ما يذكره هو أنه سقط على الفراش و أولاها ظهره متعبا

حاول أن يتذكر أي تفصيل عن حدث ما قد تكون الذاكرة

قد التقطته لكنه لم يفلح ..

تنهد بإرهاق ودفع عنه الغطاء كي ينهض من غرفتها و يترك لها فراشها وأغراضها ويعود لحجرته ليحتفظ بمساحة آمنة بعيدا عنها ..

فما عاد قادرا على أن يغفو في أحضان عطرها الذي يعبق به الفراش وينشر شذاه الغطاء وتحدثه عن صاحبته الوسائد .. ترنّح قليلا حتى وصل للباب و خرج حافيا حتى وصل لمنتصف الرواق مستندا على الحائط .. كانت هي في الحمام تتوضأ لصلاة الظهر و ما إن خرجت وطالعت ذاك الشبح المترنح في نهاية الردهة حتى كادت أن تصرخ رعبا.. لكنها استدركت الأمر عندما وجدت باب حجرتها مفتوح وبنظرة سريعة وجدت فراشها خال منه، اندفعت إليه تسند جسده المترنح المنذر بالانهيار في أي لحظة ..

لكنه أشار إليها بأنه قادر على الوصول لمرتبته العزيزة بنفسه ..

هتفت في عتاب:"ما الذي دفعك لمغادرة فراشك؟

أنت لاتزال متعب"

همس ساخراً:"فراشي!! أنا ذاهب لفراشي"

وهمس مخاطبا نفسه:"ذاهب حيث لا أرق ولا خواطر خطرة

ورجاءً البقاء بعيدا قدر الإمكان"

كان يتمنى في تلك اللحظة لو يصل لغرفته ليغلق بابها

ويضع عليه يافطة عريضة ..

"ممنوع الاقتراب حتى إشعار آخر"

لكن للأسف جسده الأحمق خانه و لم تسعفه قدماه للوصول

لمرتبته بمفرده فمدت هي كفها تساعده في صمت حتى

وصل أخيرا وتركت كفه فاندفع منهارا على المرتبة ..

هتف ساخراً بصوت واهن:"هل من عاداتكِ التخلي عمن

تساندهم في آخر لحظة"

هتفت ترد سخريته وقد واتتها الفرصة أخيرا لتأخذ بثأرها:

"أنا فقط أخاف عليك من نوبات إغرائي إذا ما سقطنا معا

كما حدث في السابق فتركتك تسقط وحيدا"

ضحك على قدر ما أتاحت له قوته وقد تذكر ما قاله لها عندما سقطت معه على فراشها.. إنها لا تنسى ثأرها أبدا ..

همس بصوت جاد:"بدأت أخافها بالفعل"

سألت مستفهمة:"هل قلت شيئا ما؟! آه بالمناسبة.. أنا ما اعتنيت بك إلا لسبب واحد .. هو شعوري بالذنب تجاهك .. فأنا أشعر للأسف أن تركي لك خارج باب الشقة مبلل لفترة طويلة كان سبب في مرضك ..فرجاء القي بأفكار الإغراء الرهيبة تلك بعيدا عن مخيلتك الخصبة"

هز رأسه نفيا وبدأ يعتدل متمدداً على المرتبة ويجذب الغطاء على جسده و للمرة الأولى يتنبه أن ملابسه قد أُبدِلَت .. فعاوده حسه الفكاهي وقرر أن يقتص منها لإلقائها إياه بهذا الشكل ولكلماتها الأخيرة تلك التي ادّعى عدم الانتباه لها ..

نظر لملابسه بشكل استفهامي مما دفع اللون القرمزي

لوجنتيها وأشاحت بوجهها جانبا ليهتف هو ساخراً:

"يبدو أن مرضي لم يثنيكِ عن محاولات إغرائي أليس كذلك؟! لكن للأسف أنا محبط جدا لأني لا أتذكر شيئا"

انتفضت مندفعة للخارج عند تلك النقطة وهي لا تجد ما يليق لتصفه به إلا أنها صرخت بثورة:"وقح!" وهي تغلق الباب خلفها بعنف وكالعادة يقهقه هو ويهتف:"جباااارة !"

****

لو على رغبتها هي لوضعت له سم قاتل في طبق الحساء لكن لابأس ستفعل ذلك يوم ما إذا ما زادت استفزازاته عن حدها..

طرقت باب غرفته وهي تحمل صينية عليها طبق الحساء الساخن، لابد أن يأكل شيئا ما حتى يستطيع تناول دواءه الذي وصفه الطبيب ..

لم تسمع الإذن بالدخول.. قلقت فأدارت مقبض الباب ودخلت بحرص وفي منتصف الغرفة وضعت صينية الطعام على الطاولة القابعة هناك .. حاولت قدر استطاعتها جذب

نظراتها بعيدا عن الصورة وإطارها و صاحبتها الشقراء ..

ونجحت في ذلك بالفعل والفضل في ذلك يعود له ..

شعرت بالذنب لأنها أغفلته طيلة النهار وها هو يبدو متعبا

بتلك القطرات من العرق تكلل جبينه وهذيانه الذي بدأ

وصلته الآن ..

همست ساخطة على نفسها مؤنبة إياها:"حمقاء! ما كان هذا

وقت الكبرياء الغبي، إنه مريض.. كان عليكِ الاعتناء به

وغض الطرف عن سخافاته حتى يستعيد عافيته"

كادت الدموع تقفز على خديها نادمة.. اقتربت بحذر

لتنحني جالسة على أطراف مرتبته ..

لتعاود الحديث لنفسها هامسة:"ما كان عليّ موافقته ليأتي

لينام على المرتبة الأرضيّة تلك و يترك الفراش الدافئ ..

يا إلهي.. ماذا أفعل الآن؟"

مدت كفها المرتجف لجبينه تمسح قطرات العرق وتتأكد

من حرارة جسده ..

زمت بين حاجبيها في تعجب وهي تستشعر أن حرارة جسده عادية ولكن من أين أتت تلك القطرات التي تعتلي جبينه؟! حتى أنه يهذي.. ماذا يحدث؟!

بدأ في تكرار اسمها من جديد لكن هذه المرة بشكل مختلف.. لا تعرف ما هو وجه الاختلاف لكن .. هي تدرك أن هناك اختلاف !

همس مكررا:"مي .. مي"

عادت لتهمس:"نعم .. أنا هنا ياسين .. أنا بجانبك"

همس من جديد:"مي .. أنا آسف .. سامحيني"

همست بصدق:"لا تتأسف .. بل أنا الآسفة"

"بل أنا الآسف لأنني أضايقك بكلامي وأفعالي و .. "

صدمت وهي تراه يفتح عينيه و يتطلع إليها وهو لا يشكو شيئا و بكامل صحته ولياقته ..

هل كان يلهو بها ويستغل قلقها لمرضه؟!

صرخت غاضبة داخليا وقد انفجر الغضب حتى طال نظراتها

الحارقة تجاهه وهي تهتف بداخلها:"هذا بحق فاق الحد"

كادت تنهض مغادرة لتنهي هذا العبث لكنه جذب ذراعها فجأة ليمنعها من الذهاب قبل أن يقول ما كان يرغب في قوله لكن للأسف كان اندفاعها قويا وجاء جذبه لها بنفس قوة اندفاعها مبتعدة لتأتي الاندفاعة في الاتجاه المعاكس وتسقط على صدره تماما ..

غضبها وصل الآن للذروة بحق و ها هو الانفجار قادم لا محالة لكن نظراته الآن لعمق عينيها كان لها فعل انهمار الماء على حديد منصهر.. سكنت بشكل عجيب وهمس هو في هدوء غير معتاد:"شكرااا .. و آسف "

استجمعت ثباتها المبعثر و همست:"هل هو شكر أم اعتذار؟"

همس:"كلاهما .. شكرا على تعبك لأجلي وآسف على سخافاتي"

اندفعت مبتعدة عن صدره وحاولت أن تتمالك أعصابها وتدفع قدمها لتحملها بعيدا عن حضوره الذي بدأ بالفعل يشوش على

تعقلها.. ابتعدت بالفعل مترنحة وهي تشير لطبق الحساء ..

هتفت تغير الموضوع:"أحضرت لك طبقا من الحساء الساخن

حتى تستطيع تناول دواءك"

هتف ممتنا بنبرة مازحة:"حقا الشكر لا يكفيكِ حقك

أيمكن أن تقتربي؟"

هتفت بتوجس:"لماذا؟"

انفجر ضاحكاً لردة فعلها:"بالتأكيد لنتصافح، إلا إذا

كان لكِ رغبة أخرى"

صرخت معترضة وهي تندفع من الباب وهي تقسم ألا تعود

لمحادثة ذاك الوقح من جديد ولو كان يلفظ أنفاسه

الأخيرة ..

نهض في وهن ولايزال يقهقه على ردات فعلها التي تدفعه

للضحك بشكل هستيرى ..

جلس يتذوق الحساء فاستطيبه كعادة طعامها ..

هتف يناديها:"مي .. مي"

لم تجبه بطبيعة الحال فقد كانت تغلي غضبا بالخارج ..

أعاد النداء عشرات المرات حتى كادت تضع بعض القطن بأذنيها رغبة في عدم سماعه.. و أخيرا وقفت على عتبة باب غرفته صارخة:"ماذا هنااااااك؟! الرحمة "

قهقه ضاحكاً:"أريد القليل من الملح، فالحساء قليل الملح"

هتفت:"قليل الملح أفضل"

هتف ساخطا:"لن أتناوله بلا ملح.. أريد قليل من الملح الآن"

صرخت:"حسنا"

ذهبت للمطبخ تحضر الملح و عادت ورغم قسمها بألا تطأ أرض هذه الغرفة من جديد إلا أنها دخلتها بتوجس ووضعت الملح على طرف الطاولة و همت بالاندفاع خارجا ..

ليهتف بها:"مي"

هتفت ساخطة:"فلتذهب مي إلى الجحيم، ماذا تريد الآن؟"

كتم ضحكاته وهو يقول بنبرة واهنة:"أيمكن أن تاتي لتتناولي طَعَامِك معي فأنا لا أستطيب تناول الطعام

وحيدا، أرجوكِ .. وأقسم أن أحاول أن ألتزم بأقصى درجات التأدب "

أنهكتها المجادلات معه و أضناها احتراق أعصابها لأفعاله .. وما بين هذا و ذاك فقدت البقية الباقية من تعقلها و ثباتها كل ما تتمناه الآن القليل من الحساء والقليل من السلام .. لكن هل هذا جائز في حضرة هذا الوقح الذي يتوسلها بإشارة صامتة من كفيه؟!

تنهدت بنفاذ صبر وخرجت تملأ لنفسها طبق من الحساء وتعود لتجلس على الطرف الآخر من الطاولة وقد اعتلت شفتيه ابتسامة انتصار وهو يراها تجلس واجمة ومتحفظة .. أحنت رأسها على طبقها و بدأت في تناول الحساء بهدوء دون أن ترفع رأسها ولو لمرة واحدة .. ظل محترما لصمتها وحدودها التي وضعتها حتى هتف ساخراً:"هل كنتِ جائعة لهذا الحد؟" رفعت نظراتها إليه ولم تجب ليشاكسها من جديد:"لم أحب الحساء يوما لكن من يديكِ له طعم مختلف"

رفعت نظراتها من جديد وأومأت برأسها شاكرة وعادت لصحنها من جديد ..

لم ييأس بالطبع حتى فجر قنبلته الأخيرة:"لِمَ لم تتزوج للآن؟ فأنتِ جميلة وعلى خلق وبالتأكيد من أصل طيب بجانب أنكِ طباخة ماهرة ؟"

أصابها سؤاله بالذهول فتوقفت الملعقة في الطريق لفمها وتمر ثوان حتى تستفيق من صدمة سؤاله المباغت فتضع الملعقة في الطبق بهدوء وهي تستجمع هدوءها لترد بنبرات أودعتها ما استطاعت من ثبات:"فيما سبق لم تكن ظروفي مناسبة لأفكر بالرجال لأن الظروف دفعتني لأتجنبهم وعندما تحسنت الظروف أصبحت أنا غير المناسبة لظروفهم .. هل هذا يرضي فضولك ؟"

استطرد كأنه لم يسمع سؤالها الأخير:"هل تقصدين بكونك غير مناسبة هو مسألة السن؟! إنها ليست بالشيء الهام صدقيني هم الخاسرون بالتأكيد.. طبيبة جميلة

وعلى خلق، قصيرة القامة بعض الشيء تشبه الدمى على أقصى تقدير، عصبية المزاج قليلا لكن قلبها عامر بالحنان كما أنها مفعمة بالأنوثة و أنا أشهد على ذلك"

فغرت فاها غير مصدقة! هل كان يصفها هي لتوه؟ و هل تلك الملاحظة الأخيرة بالتحديد يقصدها هي بها؟!

هذا الرجل يوما ما إن لم يكن الآن سيفقدها صوابها ويجعلها تندفع هاربة بعيدة عن أي مكان يجمعهما ..

لو أن ما يفعله الآن هو خطة ممنهجة لدفعها لتهرب و تترك له الشقة و تنجو بعقلها فخطته قد نجحت و بجدارة ..

استجمعت شتات نفسها و بعثرة روحها و هي تنهض بتثاقل دون أن تنطق بحرف واحد ..

وترفع طبقها الشبه فارغ وترحل مبتعدة عن مجال تواجده الذي بات يؤرقها ويثقل على قلبها وروحها معا .

الفصل الثامن

تجنّبته كثيرا بعد كلماته التي ألقاها على مسامعها .. ظلت تؤكد لنفسها أنها كلمات مجاملة المقصود منها هو التعبير عن شكره وامتنانه لاعتنائها به في أوقات مرضه وعليها ألا تأوّلها أي تأويل آخر ..

وعلى الرغم من اقتناعها التام بوجهة نظرها السابقة إلا أنها كانت تتحاشاه .. لا تعرف لِمَ؟!

كل ما تعرفه أنها لا تقوى على مواجهته والتطلع إليه بعد تلك الكلمات وخاصة ملاحظته الأخيرة عن أنوثتها وتلميحه عن رؤيتها بثوبها الأبنوسي وهي تتمايل وحيدة أو هكذا ظنت وهو قابع هناك يتابع العرض المغري باستمتاع.

رن جرس جوالها فالتقطته ترد في شوق و ما إن تناهى لمسامعها صوت أختها الباكٍ حتى اندفعت للخارج في عجالة ..

كان هو يتحين الفرص حتى يلتقي بها بعد أن فرضت العزلة على نفسها و لم تعد تخرج من غرفتها إلا في أوقات عدم تواجده ..

و الآن ما إن سمع صوت باب غرفتها يُفتح حتى اندفع خارجا من غرفته لملاقاتها لكنه وجدها تندفع كالسهم للخارج ..

ماذا هناك يا تُرى؟! و ما الامر الذي دفع بها للخروج من الشقة بتلك الحالة ؟!

لم يستطع أن يمنع ذاك الهاتف الداخلي الذي يؤكد عليه ضرورة اللحاق بها وقد استجاب له من فوره في الوقت المناسب فقد رآها تشير لإحدى سيارات الأجرة وتندفع داخلها في اللحظة التي وصل فيها لسيارته واندفع بها خلفها ..

إلى أين هي ذاهبة؟! و لِمَ تلك العجلة؟!

لا يعرف لِمَ هو مهتم لإجابات كل تلك الأسئلة لكن كل ما يدركه الآن هو أن عليه اللحاق بها والتأكد من أنها بخير..

وصلت أخيرا بعد فترة ليست بالقصيرة لأحد الأحياء الشعبية البسيطة وبطبيعة الحال لم يستطع سائق سيارة الأجرة الدخول في مثل تلك الحارة الضيقة بسيارته.. فرآها تندفع منها خارج وتلج لعمق تلك الحارة فصف سيارته واندفع خلفها على مسافة تجعله يراها ولا يفقد أثرها وفي نفس الوقت لا يجعلها تستشعر وجوده ..

وصلت بالفعل لبيت عتيق من ثلاث طوابق واندفعت داخله .. وقف هو حائرا لا يعرف كيف عليه التصرف! هل يندفع خلفها أم ينتظر ريثما تتضح له الصورة ولو قليلا ؟!

اندفعت هي تعتلي درجات السلم المتهالكة نوعا ما حتى وصلت تلتقط أنفاسها أمام باب خشبي من ضلفتين دقت عليه بكف منهك ..

فُتح الباب في عجالة وطالعها وجه أختها سماح الشاحب ودموعها التي تغطى وجنتيها.. اندفعت مى تحيط اختها بذراعيها و تجلس معها على تلك الأريكة القديمة التي

تعبق برائحة الأيام الخوالى وذكريات والديها في ذاك المنزل الذي جمعهم سويا منذ زمن بعيد .. إنها المرة الثانية التي تدخله فيها بعد عودتها من الخارج وقرار استقراراها أخيرا في مصر ..

جذبت أنظارها من جدران المنزل التي تحوي صورا لوالديها وذكريات طفولتهما ووجّهتها لأختها التي لازالت تنتحت بقهر بين ذراعيها فهتفت بها في تعقل:"ماذا هناك يا سماح؟ أما آن لمشاكلكِ مع زوجكِ أن تنتهي؟!"

هتفت سماح من بين دموعها:"إنه لا يهتم ببيته ولا أولاده، ولم يعد يحبني كالسابق.. لقد حاربت الجميع لأجله وذلّلت له كل العقبات في سبيل زواجنا حتى أنني كما تعلمين ترجيت و الدينا ليسمحا لنا بالبقاء معهما بعد زواجنا نظرا لصعوبة إيجاد مسكن يجمعنا ووافقا على مضض بالطبع، وماذا فعل هو لأجلنا؟! لا شيء .. كل ما يهمه الآن النقود، كيف يأتي بها وكيف ينفقها على ما يسعده هو لا على ما

يكفي به بيته و أولاده"

تنهدت مي وهي تربت على كتف أختها الصغرى مهدئة:

"ربما كان هذا هو الخطأ من البداية ..لقد تعود أن يأخذ ولا يعطي لكنه أيضا ليس بالرجل السيء، على الأقل كان يراع والدينا في فترات مرضهما الأخير .. أنا لا أستطيع أن أنكر عليه ذلك"

صمتت أختها ولم تعقب على تلك النقطة وما إن همت مي بالحديث حتى صرخت سماح مؤكدة:"لا، أنا لم أعد أطيقه لم أعد أرغب في العيش معه"

اندفع في تلك اللحظة من الخارج نعيم زوج سماح وما إن رأى مي حتى هتف ساخراً:"مرحبا، هل أسرعت باستدعائكِ كالعادة"

وقفت مي في مواجهته:"وما الضرر في ذلك؟! فأنا كل من تبقّى لها في الدنيا بعد أن رحل أصحاب البيت الذي يأويكما"

صرخ مزمجرا:"هل تعايريني يا دكتورة؟"

هتفت مى بحزم:"لا.. بل أذكرك أن هذا بيتها قبل أن يكون بيتك و بيت أولادك"

صرخ من جديد:"لقد سئمت من ترديد تلك النغمة، ولكن هل لأنه بيتها عليها تذكيري بذلك صباح مساء، أخبريها بأن هذا البيت مفتوح بكد ذراعي ولولا ذلك لكان جدران متهالكة لا تصلح للعيش"

صرخت سماح:"أنت لا تنفق علينا إلا قروش من مجمل ما يأتيك.. أنت تبخل عليّ و على أولادك"

اندفع نعيم غاضبا يرفع كفه محاولا إسكات استفزازات زوجته إلا أن مي وقفت في منتصف المسافة بينهما صارخة بدورها:"هل ستضربها وفي وجودي أيضا؟!"

كانت صرخات مي كفيلة أن يندفع ذاك الشبح الذي كان يتسلل على درجات السلم منذ رأى نعيم يدلف مندفعا لداخل البيت ليتعقبه متوجسا من مرآه .. ويظهر الآن يقف ممسكاً بذراع نعيم العالية التي كان مصيرها وجنة سماح لولا

تدخل مي أو بالأدق تدخل ياسين الذي وقف كحائط صد عن مي وأختها ..

شهقت مي و هي تكتشف من ذاك الذي يقف كحائط بينها هي وأختها و بين نعميم وكادت تهتف فيه إلا أن ياسين سبقها هاتفاً في نعيم زوج أختها:"هل من الرجولة الاستئساد على النساء حتى ولو كانت إحداهما زوجتك؟!"

زمجر نعيم هاتفاً وهو يحاول جذب معصمه من كف ياسين القابض عليه:"من أنت؟ ولِمَ تتدخل فيما لا يعنيك؟"

فك ياسين كفه عن معصم نعيم ومدها في اتجاهه ملقياً التحية:"أنا الدكتور ياسين نور الدين زوج الدكتورة مي"

قالها بابتسامة بريئة على عكس الوجوه الثلاثة الأخرى والتي حملت تعبيرات مختلفة ومتباينة تماما..

فالصدمة كانت مرسومة على وجهي كل من سماح ونعيم بينما ما ارتسم على وجه مي كان مزيجا من كظم الغيظ ومحاولة السيطرة على أعصابها لأقصى درجة ممكنة ..

تدارك نعيم نفسه بسرعة والتقط كف ياسين الممدودة في ترحيب شديد ..

"أهلا .. أهلا يا دكتور .. نورتنا"

ابتسم ياسين مرحبا بعفوية وتلقائية جعلته يكسب قلب نعيم فورا:"أهلا بك.. البيت منور بأصحابه"

وكأن ياسين تعمد ذكر سيرة أصحاب البيت في حديثه ثم ربت على كتف نعيم ليؤكد له أنه رجل البيت وصاحبه حتى ولو لم يكن ذلك قانونيا ولكن عرفيا ..

اتسعت ابتسامة نعيم وانتفخت أوداجه و هتف في سماح معاتبا:"الدكتور و الدكتورة سيشرفونا على الغذاء، استعدي لتقديم أشهى طعام لديكِ"

وكأن سماح نسيت كل ما كان بينهما واندفعت تنفذ مطلبه منتفضة ومهرولة باتجاه المطبخ حتى مع همهمات مي المعترضة والتي حاولت أن تثني نعيم عن عزومته لكن ياسين هتف بها مستدركا:"كلمة المعلم نعيم لا تُرد"

هتف نعيم وهو يربت على صدره محييا ياسين في امتنان:

"ربنا يعزك يا دكتور ياسين"

واستطرد ياسين موجها حديثه لمي وعلى شفتيه ابتسامة مشاكسة:"لِمَ لا تذهبين وتساعدين أختكِ فأنا أتضور جوعا"

ما إن سمع نعيم كلمات ياسين الأخيرة حتى هتف في زوجته التي كانت تعمل بكل طاقتها داخل المطبخ:

"الغذاء سريعا يا سماح"

ردت في تأكيد:"حاضر .. حالا "

استشاطت مي غضبا واندفعت للمطبخ تساعد أختها وما إن همت بدخوله حتى ناولتها أختها صينية عليها أكواب الشاي لتضعها أمام زوجها وياسين حتى يكف عن استعجالها ..

نفذت مي بآلية ووضعت صينية الشاي أمام ياسين و زوج أختها وهي تنظر لياسين نظرة أشبه بنظرة رَيَّا وسكينة قبل القضاء على ضحاياهم.. كاد ياسين ينفجر ضاحكاً كعادته

لكنه استدرك و بدأ في المزاح مع نعيم ..

دخلت مي تساعد أختها حتى تتخلص من هذا المأزق.. وقفت تناول أختها ما تطلب وهى ترى حال أختها قد تبدل للنقيض تماما وفجأة هتفت بها:"زوجك الدكتور .. ما اسمه؟"

أجابت مي بآلية:"ياسين"

استطردت سماح:"آه.. الدكتور ياسين .. إنه رائع .. أرأيتِ كيف استطاع أن يسيطر على نعيم ببضع كلمات! أخيرا سيُصبح لي ظهر أستند عليه ليقف أمام نعيم ولا يستطيع أن يعاديه"

صمتت مي و لم تعقب، هذه هي أختها سماح..

إنها حتى لم تسألها كيف وأين ومتى تم الزواج؟ وما هي ظروف ذاك الزواج المفاجئ؟ كل ما فكرت فيه هو مصلحتها التي ستجنيها من وراء هذا الزواج ..

تنفست مي بعمق وابتلعت لسانها حتى تنتهي تلك الزيارة بأي شكل ..

ساعة من الزمن و كان الطعام بدأ يُوضع على (الطبلية) تلك الطاولة قصيرة الأرجل التي يلتف حولها الجميع لتناول الطعام جالسين أرضا ..

هتف ياسين فرحا:"أخيراا الطعام"

جذبه نعيم من كفه وجلسا أرضا وتجمع الأطفال حولهما وجاءت مي وسماح بباقي الأطباق وبدأ الجميع في تناول الطعام ..

كان ياسين أريحيا ويتصرف بعفوية شديدة و لم ينهض إلا وقد جعله نعيم يتذوق كل صنف من أصناف الطعام التي كانت الطاولة عامرة بها وياسين لم يكذب خبر .. فلم ينهض إلا وهو ممتلئ بشكل جعله لا يستطيع النهوض من الأرض إلا بجذب نعيم والأطفال له والذين مازحهم ياسين إذا ما استطاعوا جذبه لينهض فسيكون نصيب كل منهم لوح من الشوكولاتة والتي يعشقها الجميع فتجمعوا بالفعل حوله في محاولة لجذبه ناهضاً وبعد عدة محاولات فاشلة

والكثير من الضحكات على مظهر ياسين الفكاهي

استطاع نعيم التدخل وجذبه مع أطفاله لينهض أخيرا

مع تصفيق الجميع حتى مي انفجرت ضاحكة على ما يفعل

مع الأطفال ..

و بدأت تستشعر ألفة مريحة للمرة الأولى تغمرها وهي تطأ

منزل أبويها.. ألفة مفتقدة ومفقودة منذ زمن بعيد.. لم يكن

هذا فقط ما لفت انتباهها بل كان حنانه وحنوه على أطفال

أختها.. لقد كان يطعمهم بكفه وكل منهم على وجهه

ابتسامة فرحة لم ترها على وجوههم في المرتين اللتين أتت

فيهما هنا عندما استدعتها أختها من أجل مشاكلها وزوجها

الذي يضحك الآن ملء فيه وقد اعتقدت أنه لا يبتسم أبدا..

حان وقت انصرافها هي وياسين فصمم نعيم على مرافقتهما

حتى سيارتهما سار معهما مختالا منتفخ الأوداج بنسيبه

الطبيب المشهور.. دخلت مي السيارة ورأت ياسين ينتحي جانبا

بنعيم.. دار بينهما حوار قصير كان نهايته إيماءة

موافقة من رأس نعيم وربتة من ياسين على كتفه وأخيرا عانق كف كل منهما الآخر بمودة خالصة ..

وعاد ياسين ليجلس أمام مقود سيارته يلوح بكفه لنعيم الذي ظل يودعهما حتى اختفت سيارتهما عن الأنظار .

الفصل التاسع

ظلا طوال الطريق لشقتهما صامتين حتى بادرها ياسين قائلا:"لم أكن أعرف أن لكِ أخت تعيش هنا ومتزوجة ولديها أطفال ؟"

"أنت لا تعرف الكثير عني من الأساس ولا أظن أنه من الضروري أن تعرف"

قالت كلماتها الأخيرة بنبرة عدائية هي نفسها استغربتها .. لِمَ تشعر أن عليها أن تضع خطا أحمرا لحياتها وأسرارها وعلاقاتها الشخصية عليه ألا يتعداه؟!

لا تعرف إجابة لكن ربما إحساسها أن وجوده مؤقتا في حياتها يجعلها تحتفظ بكل تلك المعلومات الشخصية والخاصة جدا لنفسها دون مشاركته إياها ..

لكن هو لا يترك فرصة تمر سدى دون اغتنامها ليتوغل في كل تلك التفاصيل الحميمية لحياتها بل يصبح جزءا منها

هذا الخاطر جعلها تتوتر بشكل أكثر من ذي قبل

لتهتف به حانقة:"بالمناسبة ما الذي جعلك تتعقبني وتقتحم حياة أختي بهذا الشكل؟ أنا قادرة تماما على حل مشاكلها كما كنت دوما قادرة على ذلك ولم أكن بحاجة لمساعدتك أو دعمك على الإطلاق، لم أحتاج لأحد يوما ولن أحتاج"

كانت تتوقع أن كلماتها ستدفعه للغضب والرد عليها بشكل قاس لكن على العكس تماما همس بشكل جعلها ترتجف بشكل لاإرادي:"لم ولن تحتاجي أحدهم.. أعلم.. فأنتِ دوما تلك المستقلة القوية المسيطرة العالمة ببواطن الأمور.. والتي تعتقد أن وجودي في حياتها سيقلب ميزان اعتدالها"

كيف استطاع قراءة أفكارها بهذا الشكل؟!

كيف علم بأن هذا ما يدفعها لمعاملته بهذا الشكل الفظ وتلك النبرات العدائية؟!

ابتسم عندما أدرك معاناتها الداخلية:"ما رأيكِ لو اعتبرتِ وجودي في حياتكِ الرائعة ما هو إلا استراحة قصيرة

لتعودي أقوى وأكثر استقلالية و...."

و صمت و لم يكمل ..

فاندفعت بفضول تسأله:"وماذا ...؟"

ندمت أنها سألت بتلك النبرة المتلهفة وجعلته يضحك ملء فيه قبل أن يصمت فجأة وتتحول نبرته لنبرة جادة لا تليق به:

"وماذا؟ حسنا ووحيدة، تتناول الشوكولاتة كي تشعرها بسعادة وهمية لا تنبع من داخلها، تتخذ جانبا من العالم لأنها تشعر أنها لم تعد امرأة مرغوبة إلا لمرضاها الذين تخفف آلام مفاصلهم.. لتعود حمقاء لا تدرك أنها امرأة بكل ما تحمله الكلمة من معنى"

هل اختفى الأكسجين من على وجه الأرض؟!

أم أن أنفاسها المتقطعة هذه والتي لا تستطيع التقاطها لها سبب آخر ؟!

حاولت الشعور بالثبات على قدر استطاعتها ودفعت بوجهها تجاه نافذة السيارة مدعية أنها لم تهتم بحرف واحد مما قال،

حتى هو شعر أنه قال أكثر مما يجب وصرّح بأكثر من المفترض لذا التزم الصمت احتراما لصمتها ..

لحظات وكان كل منهما في المصعد يتجنب أن ينظر باتجاه الآخر حتى وصلا لطابقهما.. تركت له مساحة ليتقدم ليفتح باب الشقة وذاك يعد تنازلا من ناحيتها لا يستهان به؛ فتح باب الشقة وتنحى جانبا ليدعها تدخل أولا ..كان يعلم أنها ستندفع لتحتمي بجدران غرفتها كعادتها عندما توضع في موقف لا تفضله ..

ولم تخلف ظنه، فقد اندفعت تجاه غرفتها وكان خلفها فتوقع دفعها للباب ووطّد نفسه على تلقي الصفعة المعتادة له ..

لكن لم يحدث .. بل على العكس بعد أن همّت بغلق الباب عادت وفتحته لتسأله بهدوء:"هل من الممكن أن أسألك كيف استطعت اكتساب محبة نعيم بهذا الشكل؟"

أجاب بهدوء مماثل لهدوئها:"أعطيته ما كان ينقصه وما كان بحاجة إليه وما هو جدير به"

سألت بنبرة تهكمية:"وما هو هذا الشيء؟"

أجاب بنبرة جادة:"الاحترام والتقدير "

ألجمتها كلماته وجعلتها تبتلع لسانها للحظات حتى هتفت

ساخرة:"كان عليك أن تكون طبيبا نفسيا"

هتف ساخراً بدوره:"أنا طبيب أمراض نساء ومن يتعامل معهن

عليه أن يحصّن نفسه ضد جميع الأمراض النفسية"

كادت تعتصر مقبض الباب وهي تندفع هاتفة:

"محاضرة شيقة يا دكتور وإلى لقاء آخر باذن اللّه"

وصفقت الباب لتنتظر ضحكاته الصاخبة المعتادة لكنها لم

تأتِ .. تعجبت للحظات و فتحت الباب مرة أخرى تتأكد من

أن كل شيء طبيعي لتشهق عندما وجدته لازال أمام الباب

لم يتحرك قيد أُنملة وما إن طالعه مرآها حتى انفجر

ضاحكاً ملء فيه ولكن هذه المرة قبل أن تصفع الباب من

جديد وهي تهتف في غيظ مكتوم :"وقح ".

اندفعت من المطبخ تاركة ما تعده لطعام الغذاء لتفتح الباب الذي علا رنينه المتواصل وما إن فتحته حتى طالعها ياسين يقف مستندا على كتفي عِوَض والذي كان يئن لطول استناد ياسين بثقل جسده على جسده الضئيل ..

أفسحت لهما الطريق حتى تخلّص عِوَض من ثقل ياسين على أقرب أريكة للباب زافرا براحة ..

ابتسم ياسين لمعاناة عِوَض وأخرج من جيبه حفنة من نقود أودعها كفه و أخيرا زال كل التعب عن وجه عِوَض وتهلل بالبشر لمرأى النقود كالعادة وأخذ في الدعوات لياسين بالصحة و العافية وخرج وأغلق باب الشقة خلفه ..

شبكت ذراعيها أمام صدرها و هي تنظر إليه وهو مددا على الأريكة بهذا الشكل اللامبالي ..

هتفت بسخرية:"ماذا فعلت بنفسك هذه المرة يا دكتور؟"

هتف مجيباً بلا اهتمام وهو يشير لقدمه:"لا شيء ذو أهمية أتمنى هذا.. أعتقد هذه وظيفتك يا دكتورة.. اعتقدت أنكِ

أنتِ من عليه أن يخبرني ما بها!"

أغمض عينيه وكأنه أنهى ما لديه فأعاد رأسه للخلف مسندا إياها على ظهر الأريكة ..

تنهدت في نفاذ صبر واندفعت للداخل وغابت قليلا فاعتقد أنها ستهمله ولكنه أخطأ الظن عندما وجدها قادمة تترنح وهي تحمل طبقا من البلاستيك به بعض من ماء فاتر وضعته أرضا بجوار قدمه وهي تلتقط أنفاسها بصعوبة ..

جلست على الأرض بعفوية وسألته بهدوء:"أي قدم هي المصابة؟ و ما سبب الإصابة يا ثُرى؟"

أشار لقدمه اليسرى وقال وهو يربت على معدته البارزة:

"فكرت أن أتشجع و أتخذ قرار إزالة لهذه الشرفة المطلة على العالم "

أمسكت نفسها عن الانفجار ضاحكة لتشبيهه لمعدته البارزة بالشرفة فاستطرد هو مكملا:"ذهبت لصالة الألعاب الرياضية و كان كل شيء على ما يرام حتى انتهيت من

التمارين و ما إن وضعت قدمي على الأرض حتى شعرت بألم يجتاح قدمي ولم أستطع السير عليها"

كانت تستمع إليه وبدأت في خلع حذائه عن قدمه عندما لم يستطع هو الانحناء متألماً لخلعها.. جذبتها قدر استطاعتها وأخيرا استطاعت نزعها لتندفع للخلف وفردة الحذاء بين كفيها.. انفجر ضاحكاً لمرآها تصارع حذاءه بهذا الشكل ليقول مازحاً:"يبدو أن علاجكِ سيكون بخلع قدمي من ساقي لا علاجها"

هتفت متذمرة:"حذاءك كان ملتصق بالغراء على ما يبدو ماذا عليّ أن أفعل؟"

مدت كفها لتنزع فردة الحذاء الأيمن وكذلك الجورب والذى انخلع بسهولة بفضل اللّه ..

ما إن وضعت كفها على قدمه حتى انتفض بشكل لا إرادى .. انتبهت هي فأبعدت كفها ورفعت رأسها المنحني لتواجهه متسائلة:"هل هذا موضع الألم؟ آسفة لو آلمتك"

تحشرج صوته قليلا هامساً:"لا عليكِ"

همست وهي تتطلع للأعلى مواجهة لنظراته ومفسرة:

"سأضغط بأطراف أصابعي على عدة مواضع من قدمك ما

إن تستشعر الألم إلا وعليك إخباري فورا .. اتفقنا؟"

أومأ برأسه موافقا و لم يتفوه بكلمة ..

بدأت بالفعل تضغط على مواضع بعينها بأطراف أصابعها

باحترافية واضحة وما إن ضغطت على إحداها حتى تألم

منتفضاً .. أومأت متفهمة ونهضت في عجالة أحضرت بعض

المراهم الطبية وأحد الأربطة الطبية الضاغطة وجاءت

لتجلس على الأرض قبالته من جديد ..

ابتسم عندما مدت كفها لتضع قدمه المصابة في طبق الماء

البلاستيكي وتضع بعض الماء على موضع الإصابة مع بعض

التدليك الخفيف لموضع الألم جعله يسترخي بشكل مريح

ولكن طبعه المشاكس لم يمهله طويلا ليظهر على السطح

الهادئ لمدّع الألم ذاك والذي يرتسم على ملامح وجهه

الآن فهتف ساخراً:"آاااه .. يدكِ بلسم شاف يا أمينة"

انفجرت ضاحكة ما إن تنبهت لمشاكسته وقد قررت مجاراته:"تسلم يا سي السيد"

انفجر ضاحكاً ومعللا:"حققتِ لي إحدى أمنيات حياتي بأن أدّعي دور سي السيد في الحقيقة و لو لمرة واحدة"

قهقهت:"عد أفضالي .. فها أنا أحقق لك الأحلام مجانا"

سأل بعفوية:"و أنتِ متى ستجدين من يحقق أحلامكِ؟"

غابت البسمة عن شفتيها بشكل مفاجئ لسؤاله ورفعت قدمه من الماء لتضعها على المنشفة وتبدأ في تجفيفها استعدادا لوضع المراهم والرباط الطبي الضاغط ..

شعر أنها أصبحت عادته مؤخرا أن يحرجها بأسئلة عفوية لا مقصودة .. فقرر إعادة البسمة المختفية لشفتيها من جديد ..

دفع بقدمه الأخرى الغير مصابة لداخل طبق الماء البلاستيكي بعنف فانتشر الماء فجأة في كل مكان وهو يهتف مازحاً:"نسيتِ القدم الأخرى يا أمينة"

أخرجها من شردوها بشهقة مصدومة وما إن استعادت ثباتها حتى عقدت حاجبيها غاضبة ومقررة الثأر من ذاك الأحمق الذى أغرقها بالماء لتوه:"من عينيّ يا سي السيد"

أجابت و هي تنهض في ثورة وبدأت في دفع الماء من الطبق بكلتا كفيها المضمومتين باتجاهه ..

أخذ يداري وجهه بكلتا يديه محاولا تفادي رذاذ الماء المتطاير في كل اتجاه وأخذ يضرب الهواء بيديه وهو غير قادر على النهوض حتى يلقنها درسا .. وقد كان الحظ حليفه فاصطدمت إحدى كفيه بذراعها فجذبها في محاولة لإيقاف سيل الماء الموجه إليه .. جذبها وهو لا يدري أنها تعرقلت بإحدى قدميه الممددتين لتسقط مباشرة في أحضانه!

كان الوضع صدمة لكلاهما جعلت كل منهما ينظر مشدوها في عين الآخر بلا قدرة على إتيان أي ردة فعل!

تنفس هو بعمق وهو ينظر لتلك العيون الحائرة المرتبكة كعين غزال شارد يرتجف رعبا من مطاردة الصياد ..

بدأ يستفيق تدريجيا من صدمة وجودها في أحضانه بهذا الشكل المفاجئ ليدرك أن كفيه كلتاهما لازالتا مرفوعتان في صدمة .. كانت هيئته تدعو للضحك وهو رافع ذراعيه كأنما ينفي تهمة ما عنه .. بينما هي متسربلة في إسدال صلاتها الذي يشبه الخيمة وقد أعاق قدرتها على تخليص نفسها ..

وكأن كل منهما وقع في شباك الآخر ولا قدرة لأي منهما على تخليص نفسه حتى قبل أن يفكر في تخليص شريكه .. لكنه لا إراديا وجد نفسه يضع كفيه ليحيطا خصرها الدقيق ويدفع بجسدها بعيدا عنه حتى استطاعت هي استجماع شتات نفسها والوقوف على قدميها من جديد .. والاندفاع لحمل الطبق البلاستيكي بما يحمله من بقايا ماء والإسراع باتجاه الحمام في محاولة للهرب من نظراته أو إحدى تعليقاته الساخرة التي لن تحتملها ..

وفجأة ودون سابق إنذار وكأن المصائب لا تأتي فرادى وجدت

قدمها تنزلق فجأة في بقعة ماء قد انسكبت في أثناء سيرها حاملة طبق الماء البلاستيكي ممتلئا.. طارت في الهواء و سقطت ولكن ليس هذا كل شيء فبقايا الماء تناثرت في كل مكان و نزل الطبق البلاستيكي الفارغ فوق رأسها ليبدو وأنها ترتدي إحدى القبعات المكسيكية ..

انفجار مدو في الضحك من قبله بالتأكيد كان الانفجار الأقوى.. فهي تكاد تقسم أن جدران المنزل قد ارتعدت منتفضة لتلك القهقهات ..

لحظات مرت و هي تجلس على حالها و ضحكاته المدوية لم يتوقف رنينها و قد دمعت عيناه من أثرها ..

و أخيرا نهضت ورفعت الطبق البلاستيكي عن رأسها ناظرة إليه بغيظ و دخلت حجرتها ..

توقع للمرة الثانية أنها ستتجاهله جراء سخريته وضحكاته على سقوطها المدوي لكن ما هي إلا لحظات وقد بدلت ملابسها و خرجت تلتقيه..

همس متأدبا وهي تنحنى تضع المراهم والرباط الضاغط على قدمه المصابة:"أنا آسف لقد كان مظهركِ.. "

لم يستكمل جملته وقد ظهرت على جانب فمه ابتسامة حاول وأدها فأومأت هي هاتفة:"أعرف .. كنت كمهرج بذاك الطبق على رأسي"

أومأ موافقا وقد فشل في وأد الابتسامة التي ارتسمت مشعة على ذاك الثغر الرجولى ..

مدت كفها بعفوية وهي تحاول قدر استطاعتها مساعدته على النهوض من الأريكة هاتفة:"عليك الاستراحة بالداخل وعدم الضغط على قدمك أثناء السير عليها قدر الإمكان .. وعليّ أنا العودة لتنظيف تلك الفوضى التي خلفتها مدواتك العصيبة"

سارا معا مستندا على كفها ومتخذا الجدار الموازي مساعدا له حتى لا يزيد من ثقله عليها ..

وما إن مرا بجوار المطبخ حتى تسللت إلى أنفاسه رائحة ما

دغدغت حواسه فهمس متسائلا بنبرة ماكرة:

"ماذا أحضرتِ من أجل غذائك اليوم؟ يبدو شيئا شهيا"

قررت أن تثير فضوله حتى يسيل لعابه:"وما الذي يعنيك فيما أعدّه من غذاء؟ على أيه حال هو لا يصلح مطلقا لحميتك الغذائية "

هتف محتدا:"فلتذهب حميتي الغذائية للجحيم .. أنا الآن مريض وبحاجة للتغذية الجيدة حتى أستعيد صحتي من جديد "

انفجرت ضاحكة وهي تشير لمعدته البارزة قليلا:"وماذا عن قرار إزالة هذه الشرفة؟"

قال مشاكساً:"لا بأس من تأجيل إزالتها حتى إتمام علاجي والذي سيكون الجرعة الأولى منه طبق من البامية باللحم الضأن والتي تعدينها الآن"

وصلت لفراشه وساعدته في الجلوس على أطرافه وأخذت تنظر مبهورة ومتسائلة:"كيف عرفت أني أطبخ بامية

وباللحم الضأن؟!"

ابتسم بفخر وهو يربت على شرفته العزيزة:"تلك الغالية لا تخطئ قرون استشعارها أبدااااا"

انفجرت ضاحكة غير قادرة على تمالك نفسها أمام تشبيهاته .. بينما هو هتف فيها متعجلا وهو يشير لها لتعد له ما يشتهيه:"هيا يا أمينة.. قد حان وقت الجرعة الأولى من العلاج"

استمرت في قهقهاتها وهي تندفع خارجا لتلبي طلب سي السيد ياسين نور الدين .

الفصل العاشر

مرت أيامهما بعد تلك الحادثة هادئة لا يعكر صفوها أي حادث ولكن على الرغم من ذلك وجدت منه تباعدا في الأيام الأخيرة جعلتها تتساءل ما الذي حدث ودفعه ليتخذ جانبا من أي لقاء يجمعهما أو تحاشي اللقاء بها ولو صدفة في أحد أروقة المنزل.. حتى تلك اللعبة الالكترونية التي يعشقها وكانت سلواهما في الأيام السابقة لم تعد تجذب انتباهه حتى أنها فتحتها في أحد الأيام ورفعت من مستوى الصوت حتى يَصِل لمسامعه فيتشجع ويأتي لمنافستها كالمعتاد أو حتى يخرج ليتذمّر جراء ارتفاع الصوت لأنه يريد أن ينام أو حتى يخلد للراحة والهدوء .. لكن كل هذا لم يحدث فقررت جذبه خارج معتقله الاختياري اللامفهوم دافعه بتلك الطريقة التي لا تخطئ نتائجها معه

أبدا: (الطعاااام).

و لكن للعجب حتى تلك الطريقة لم تجذبه رغم إغراءاتها ليخرج من عزلته ..

تنهدت وقررت هي أن تقتحم تلك العزلة بنفسها .. حملت طبق الطعام وطرقت على باب غرفته .. مرت عدة ثوان لم يستجب للطرق لا بالإيجاب ولا حتى بالرفض ..

أعادت الطرق على باب حجرته عدة مرات حتى اعتلى القلق عرش فكرها وبدأ الوسواس في نشر خيوطه على مجمل تخيلاتها فتشجعت ودفعت بالباب منادية إياه بهمس مضطرب غير مدركة أنه بالكاد مسموع لها ولن يصل لمسامعه بالتأكيد وخاصة مع صوت صرير الباب الخفيف الذي صاحب نداءها الخافت ..

توقفت متصلبة في مكانها ولم تخطُ خطوة واحدة بالداخل فما رأته جعلها تتسمر في مكانها وتشعر أنها أخطأت باقتحام عزلته بهذه الطريقة.. فقد رأته يقف موليا لها ظهره في

خشوع يصلي و دعوات هامسة تخرج من بين شفتيه تصل بعضها لمسامعها فتدرك أنه يترنم في دعواته باسم صاحبة الصورة ذات الإطار الذهبي والتي تقبع ها هنا في ذاك الركن من الغرفة بجوار فراشه ..

همت بالاستدارة والخروج وهي تدعو اللّه سرا أن يكون قد غفل عن زيارتها وطرقاتها لبابه ..

ولكن يبدو أن دعواتها لم تُستجب فقد هتف بصوت متحشرج ونبرة عميقة لم تزور مسامعها من قبل:"ماذا هناك ؟"

همست وهي تستدير وقد أدركت أن أوان هروبها قد ولى:

"لا شيء كنت ...."

لم تستكمل حديثها وهي تضع طبق الطعام على الطاولة القريبة من موضع وقوفها ..

هز رأسه رافضا:"أشكركِ.. لكن .. أنا اليوم صائم"

قلّبت الأيام في عقلها ولم تَر أن منها ما يوجب الصيام اليوم .. ربما صوم تطوع .. لكن لِمَ ؟!

لا تعرف لِمَ أنبأها حدسها أن الشقراء صاحبة الصورة لها علاقة بأمر عزلته وصيامه اليوم !

ولا تعرف من الأساس كيف واتتها الجرأة لتهتف به ناصحة: "لا عليك .. لست الوحيد الذي تهجره امرأة .. ولست الوحيد الذي اعتقد يوما في وهم الحب"

احمرت عيناه واتقدت كجمرات مشتعلة وهو يقترب منها في خطوات بطيئة وهي غير مدركة أن كل كلمة تتفوه بها تزيد الطين بلة ولا تصلح من الأمر كما تعتقد ..

وقف الآن قبالتها تماما وهو يسألها بنفاذ صبر:"ماذا تقصدين؟"

أشارت للشقراء وصورتها:"هذه الشقراء التي تركتك معذبا بحبها والتي كنت تهذي محموما باسمها.. هي لا تستحق وفاءك وإخلاصك، هي ... "

لم تكمل كلماتها وقد جذبها من ساعدها بقوة هامساً بصوت أشبه بالفحيح:"ومن أدراكِ أنتِ بما هو الحب؟! أنتِ امرأة جبانة تغلق قلبها وعقلها وروحها حتى لا تسمح لأحد بالتعلق

بها أو حتى الاقتراب من حرمها المقدس، ما أدراكِ أنتِ بالإخلاص والوفاء وأنتِ لا تسمحين لأحد من البشر بالاقتراب من حياتكِ والتوغل في تفاصيلها حتى يصبح ليس فقط جزء منها بل هو الحياة نفسها؟!"

دفع بها بعيدا وهو يصرخ فيها:"اذهبي الآن وفورا من أمامي ولا تتحدثي عن أمور لم تخبريها يا فتاة"

وقفت لحظات تلهث أمامه مصدومة من ردّة فعله النارية والتي لم تتوقع ولو للحظة بأن تلك الشخصية المرحة الأريحية قادرة على الإتيان بها ..

وأخيرا استجابت قدميها لهتاف عقلها واندفعت خارج الغرفة كالصاروخ هاربة من أمام ذاك الياسين الجديد الذي لا تعرفه .

بكاؤها في الأيام الماضية كان كافيا ويزيد

للتعبير عن ندمها ورغبتها في جلد ذاتها لتؤكد خطأ

اقتحامها لخلوته.. لكن لم يعد ينفع الندم فقد فات أوانه

منذ اللحظة التي اكتشف فيها وجودها في غرفته ..

نظرت لصورتها في المرأة لترى عيون متقرحة وجفون

منتفخة من أثر البكاء.. همت بالبدأ في نوبة بكاء

جديدة على ذاك المظهر الذي طالعته لنفسها

لكن صوت رنين جوالها جعلها ترجئ تلك النوبة لوقت

آخر وخاصة عندما ظهر اسم صديقتها نادية مضيئا على

شاشة الهاتف.. تنفست بعمق وتناولت جوالها لترد في محاولة

للتماسك وعدم الانفجار في البكاء من جديد:

"مرحبا نادية "

هتفت نادية بحماسة:"مرحبا بالعروس الهاربة .. هل نسيتِ أن

لكِ صديقة تسألين على حالها؟!"

واستطردت نادية بنبرة مشاكسة:"أم أن شريكك العزيز

كان له النصيب الأكبر من اهتمامك؟"

عند ذكر ياسين وتخيل محياه الغاضب أمام ناظريها انفجرت مي باكية ولم تستطع كبح جماح ثورتها وبدأت في سرد كل الأحداث الماضية لصديقتها والتي استمعت لها بإنصات كالعادة وتنهدت أخيرا وهي تقول لمي تعقيبا على ما سردته للموقف الأخير الذي دار بينها وبين ياسين:"هذا هو سبب اتصالي بكِ اليوم"

ردت مي:"لا أفهمكِ! ماذا تقصدين؟ وما شأن اتصالكِ بتلك الشقراء التي ...."

قاطعتها نادية هاتفة:"إنها زوجته"

شهقت مي:"هل هو متزوج؟!"

تنهدت نادية:"زوجته السابقة ..."

صرخت مي:"هل هو مطلق؟!"

كان دور نادية لتصرخ:"هل أستطيع إنهاء كلامي ثم اصرخي كما يحلو لكِ "

ردت مي:"حسنا .. هاتِ ما عِندكِ وبسرعة"

استرسلت نادية قائلة:"هذه الشقراء هي زوجته السابقة رحمها اللّه"

شهقت مي رغما عنها وتمالكت نفسها حتى لا تعقب على كلمات صديقتها فتفقدها صوابها ..

استطردت نادية:"اسمها هاجر وهي ابنة عمه ومعلمه وأستاذه ما بينهما كان كقصص العشق التي نقرأ عنها في الروايات .. لكن لم يمهلها المرض الذي بدأ يلتهم جمالها حتى تُوفيت ليسقط الدكتور ياسين في نوبة من الاكتئاب لشهور وأخيرا قرر الانضمام للقوافل الطبية التابعة لإحدى المنظمات الصحية وهناك استطاع تحقيق شهرة واسعة في مجال العمل الخيري وعاد عندما جاءه خبر وفاة عمه لينفذ وصيته ووراثة نصف الشقة مع ابنه الذي باعك إياها نصبا وكذلك تحقيق أمنية عمه في شراء النصف الآخر وتحويل الشقة لمركز طبي مصغر لعلاج المرضى غير القادرين ..

و بالطبع أنتِ على دراية بباقي القصة ..

خالد زوجي قابل بالصدفة أحد أصدقاءه القدامى وأثناء الحديث دار الحوار حول تلك المنظمة الصحية التي كان يعمل الدكتور ياسين تحت لوائها ومن هنا جاء ذكر اسمه واستطاع خالد معرفة كل تلك التفاصيل عن حياة الدكتور ياسين ..عدوك العزيز "

صمتت مي ولم تعقّب بكلمة !

إذن فهي أخطأت بحقه وخاصة بسبب تلك الكلمات الحمقاء التي تفوهت بها.. لا تعرف ما ذاك الشعور الذي دفعها قسرا لتتفوه بمثل تلك الترهات؟! وما شأنها هي من الأساس إذا كانت تلك الشقراء حبيبته التي هجرته أو أي من كانت! على قدر ما آلمتها كلماته .. وعلى قدر صدق تلك الكلمات وتعريتها لحقيقة شخصها .. إلا أن تلك الكلمات ما كانت إلا ردة فعل منه على ما اندفعت بإلقائه من اتهامات تجرح في شخصها العزيز على قلبه .

حاولت أن تبدو على طبيعتها رغم وجيب قلبها المتضاعف عندما أدركت أن خطواته التي تقترب الآن تنذر بقدومه ..

أولت ظهرها متعللة ببعض المهام حتى تعطي نفسها القدر الكافي من الوقت اللازم للتماسك والظهور بمظهر الثابتة الواثقة قبل مواجهته ..

و ها قد حانت اللحظة فتنفست بعمق وهو يقف على باب المطبخ مبتدرا حديثه بالتحية:"مساء الخير "

ردت وهي توليه جانب وجهها:"مساء الخير"

تنحنح في إحراج:"أنا .. أنا آسف .. ما كان عليّ التفوه بتلك الكلمات ال...."

قاطعته بحزم:"لا عليك .. لقد نسيت ما قلته"

تقدم بضع خطوات لداخل المطبخ فشعرت أن المطبخ الواسع قد أضحى أشبه بثقب إبرة ..

وقف ليسأل من جديد:"هذا يعني أنكِ لست غاضبة أو حزينة بسبب ما قلت ؟!"

هزت رأسها رفضا:"لا .. لست حزينة أو غاضبة أو حانقة على ما قلت "

سأل مشاكساً:"وكيف لي أن أتاكد من ذلك؟"

هتفت ضاحكة و هي تدس أصبعا من المحشي في فمه:"أعتقد هذا أكبر تأكيد فَلَو كنت مازلت غاضبة ما جعلتك تتذوقه ولو سرت على رموش عينيك متوسلاً "

هتف وهو يستلذ طعم المحشي في فمه:"يا لها من طريقة رائعة للصلح .. لنرى هل هي صالحة لأتذوق المزيد؟!

مي .. أنا آسف ...."

قهقهت و هي تدس إصبعا آخر من المحشي في فمه ليتلقاه مرحبا و هي تهتف:"وأنا أيضا آسفة "

هتف مؤكدا في حزم:"لا مزيد من الأسف رجاءً"

هزت رأسها موافقة .. إلا أنه استعاد مرحه في ثوان ساخراً :"طبعا هذا لا ينطبق عليّ .. وخاصة لو كان المقابل هو هذه الأصابع الشهية "

ابتسمت في حبور لمزحته ونظرت إليه متطلعة لياسين آخر أو بالأحرى ياسين ثالث (ياسين العاشق) هل هو قادر على الحب بذاك العمق الذي سمعت عنه من نادية؟!

والسؤال الأهم .. هل هو قادر على أن يحب بنفس العمق والقوة لمرة أخرى؟!

نحّت نظراتها بعيدا عن محياه الباسم عندما وصلت أفكارها وخواطرها لهذا المنحى الخطر .

الفصل الحادي عشر

استيقظت فزعة على صوت جهاز الاستدعاء (الانتركم) يرن بإلحاح .. نظرت إلى ساعة هاتفها فإذا بها تجاوزت الرابعة فجرا بقليل .. ماذا هناك يا ترى؟!

"اللهم اجعله خيرا" هتفت بوجل و هي ترتدي مئزرها المنزلي وتضع حجابها وتندفع خارج غرفتها حيث وجدت ياسين قد اندفع بدوره ليجيب بقلق:"ماذا هناك يا عِوَض ؟"

استمع للحظات لصوت عِوَض على الطرف الآخر وأخيرا هتف بتأكيد:"بالطبع .. اجعله يصعد على الفور"

ما كانت إلا لحظات حتى تنبهت لذاك الظل لرجل يحمل إحداهما ويدخل بها غرفة أشار إليها ياسين ..

كانت تقف في نهاية الرواق الطويل ترى الأمور من بعيد دون أن تتدخل .. لا تعرف ما الذي يحدث بالضبط!

لكن استنتاجها يؤكد أنها حالة مرضية طارئة تستدعي تدخل ياسين ..

ها هي تسمع صوته يناديها بإصرار:"يا دكتورة .. أحتاج لمساعدتك هنا على الفور"

لم تتردد لحظة واندفعت لغرفة الكشف لتطالعها سيدة ممددة على سرير الكشف غائبة عن الوعي تماما .. إنها أقرب لفتاة منها لسيدة متزوجة وحامل في شهرها التاسع على حسب تقديرها المتواضع في تلك الأمور .. كانت فتاة جميلة رغم شحوب وجهها الشديد نتيجة النزيف الذي يحاول ياسين إيقافه باستماتة ..

نظرت إليه تلك اللحظة لتجد ياسين مختلفا تماما عمن تعرفه .. وجه صارم وقسمات مسيطرة ويد ماهرة تعمل بحرفية شديدة عاقد الحاجبين وقد اختفت الضحكة المجلجلة والابتسامة الواسعة ليحل محلها التركيز ..

كانت تختفي تماما خلف جسد ياسين الضخم الذي تحرك

في تلك اللحظة يلتقط إحدى الأدوات الطبية ليطالعها الان ذاك الزوج الذي كان ينتحى جانباً لأحد أركان الغرفة بقلق واضطراب و لم ينبس بحرف واحد ..

في تلك اللحظة التي وقع نظرها عليه توقف الزمن .. وبسرعة رهيبة عادت عجلته لما يقرب من ثلاث سنوات خلت لتتأكد أنه هو .. إنه حازم بشحمه ودمه يقف ها هنا في توتر .. وتساءلت سؤالا أحمقا هي أدرى الناس بإجابته ..

هل تلك الفتاة الممددة الآن تصارع لإنقاذ نفسها وجنينها من براثن الموت هي زوجته؟!

بالتأكيد .. إجابة لا مجال فيها للشك .. نظرت مرة أخرى لملامح تلك الفتاة التي تزداد شحوبا مع كل لحظة ..

هل هي تلك التي اختارها لتحل محلها وتصبح زوجته وتشاركه حياته وأحلامه وتكون أما لأطفاله؟!

هزت رأسها تطرد تلك الخواطر الحمقاء التي جعلتها تشعر بالذنب تجاه تلك الفتاة المسكينة التي يحاول ياسين

إنقاذها وجنينها باستماتة وانتفضت من خواطرها عندما هتف فيها ياسين للمرة الثانية طالبا أحد الأغراض الأقرب لها في عجالة .. فاستجابت باضطراب حتى أنه انتبه لتوترها فسألها باهتمام:"هل أنتِ بخير؟!"

أومأت برأسها إيجابا دون أن تجرؤ على النطق بحرف واحد فحلقها وصل لمرحلة الصحراء القاحلة وجف ريقها تماما تحت صدمة رؤية حازم بعد تلك السنوات ..

انتهى ياسين أخيرا واستدار بكليته للزوج المتوتر هاتفاً بسرعة:"حاولت على قدر إمكاناتي المتواضعة إيقاف النزيف مؤقتا.. لكن زوجتك بحاجة لنقلها للمشفى بأقصى سرعة وأنا سأقوم باللازم "

اندفع ياسين خارج غرفة الكشف ليبدأ اتصالاته لتتضح الرؤية أمامها تماما وتراه بكل وضوح يقترب في وجل من زوجته الراقدة وهو لا يدرى ما عليه فعله ..

خرجت هي من خلف الحاجز الطبي الذي كان يحجب رؤيتها

عنه لتصبح في مجال رؤيته تماما لتهتف بنبرة صادقة حاولت جعلها ثابتة الجأش على قدر استطاعتها:

"بإذن اللّه ستكون بخير "

كان سماعه لصوتها ورؤيته لها أمام ناظريه وقع الصدمة الشديدة التي جعلته يتقهقر للخلف خطوة بعدم تصديق هاتفاً:"مي!! هل هذه أنتِ حقا؟"

ابتسمت بهدوء يتنافى مع دواخل نفسها المستعرة:

"نعم يا دكتور حازم .. أنا هي "

دخل ياسين الحجرة ليهتف بثقة:"لا تقلق ستكون زوجتك بخير بإذن اللّه .. ثوان وستصل عربة إسعاف مجهزة لنقلها للمشفى لعمل اللازم"

لم ينتبه ياسين للصدمة التي تغرق الغرفة وتشملها وقد استدار باتجاه مي قائلا:"أشكركِ يا دكتورة على تعاونكِ أتعبناكِ .. يمكنكِ العودة للنوم مجددا"

"لا سأتِ معكم .. فالدكتور حازم زميل قديم في المشفى

الذي كنت أعمل به في الخارج"

هتف ياسين بحبور وهو يمد كفه لإلقاء التحية بود حقيقي:

"حقا!! تشرفت بمعرفتك يا دكتور حازم"

رد حازم التحية في تيه عزاه ياسين لقلقه على زوجته ..

لم يطل الوقت حتى كانت سيارة الإسعاف تحمل المريضة للمشفى وخلفها كان ياسين و مي في سيارتهما .

****

جلس كل من حازم و ياسين و مي على الكراسي المقابلة لغرفة العمليات الجراحية في انتظار أية أخبار يجود بها الدكتور مؤمن صديق ياسين الذي أوكله الإشراف على علاج الحالة لثقته في كفاءته ..

لقد طال انتظارهم القاتل خارج تلك الغرفة الباردة ..

وأخيرا خرج الدكتور مؤمن على عجالة ينزع القناع الطبي عن وجهه موجها حديثه لياسين:"لقد فعلت كل ما بوسعي لإنقاذ الأم وجنينها لكن للأسف لم أستطع .. "

انتفض الجميع لكلماته التي أكملها لاهثا:

"إنقاذ الجنين والأم فصيلة دمها نادرة والكمية التي كانت في بنك الدم الخاص بالمشفى غير كافية .. أحتاج للمزيد و فورا "

انكمش حازم في لوعة يتخبط حتى انهار على مقعده ووقف ياسين لا يستطع الإتيان بأي رد فعل حتى هتفت مي:

"إنها نفس فصيلة دمي وأنا على استعداد للتبرع حالا"

هتف مؤمن:"حقا؟!"

واندفع حازم واقفا و قد تبدى الأمل في إنقاذ زوجته بينما هتف ياسين و هو ينظر إليها بقلق:"الأهم ألا يؤثر ذلك عليكِ .. هل أنتِ قادرة حقاً على التبرع؟!"

أومأت بالإيجاب .. أشار مؤمن لإحدى الممرضات لتقوم باللازم وقد هم ياسين بأن يتبعها لولا أن جذبه مؤمن ليدخل معه غرفة العمليات ليساعده .. تبعه ياسين بعد أن تنحى بالممرضة جانبا وألقى نظرة سريعة على مي قبل أن يندفع

لحجرة التعقيم ليتبع مؤمن لغرفة العمليات .

****

انتهت الممرضة مما أوكل إليها لتنهض مي جالسة على الفراش الذي كانت تتمدد عليه لتتبرع بدمائها لإنقاذ زوجة حازم وتغطي ذراعها المكشوفة التي كان وخز الحقنة به يؤلمها حتى بعد أن انتهى الأمر ..

غابت الممرضة لحظات وعادت تحمل بعض العصائر والمرطبات قدمتها لمي التي شكرتها رافضة في ذوق إلا أن الممرضة هتفت بإصرار:"لا .. لابد من تناولكِ لشيء ما .. لا أريد أن يغضب مني الدكتور ياسين.. لقد أوصاني بذلك قبل دخوله غرفة العمليات "

وابتسمت الممرضة هامسة:"يبدو أنه يحبكِ كثيرا ويخاف عليكِ"

ابتسمت مي بسعادة مفتعلة بل كادت تقهقه ساخرة وهي تقول لنفسها:"كم أن المظاهر خادعة! يحبني! ونحن أعداء

يتمنى كل منا الخلاص من صاحبه لتخلو له شقة العمر"

تناولت مي العصير وتجرعته بصمت وعادت تجلس أمام حجرة العمليات تنتظر خروج ياسين وإذا بحازم الذي فضلت الجلوس على مبعدة منه يقترب منها ليجلس بالمقعد المجاور لها ويهمهم محاولا البدء في الحديث الذى قطعته هي قبل أن يبدأ هامسة في صرامة:"لا عليك يا دكتور حازم .. لست مطالباً بأي كلام ليس هذا موضعه أو مكانه"

أغلق هو فمه بتفهم وعاد لمكانه الأول ..

وأخيرا انفرج الباب عن ياسين متنهدا براحة وهو يقول:

"الحمد للّه"

هتف مؤمن الذي خرج من خلفه:"لولا الدماء التي تبرعت بها يا دكتورة ما تم إنقاذها بأي حال "

اقترب ياسين من مي هامساً:"هل أنتِ بخير؟"

"نعم .." لم تزد مي حرفا وقد شعرت بمدى اهتمامه وتحديقه بها فأدارت رأسها خجلاً ..

همس من جديد:"سأغير ملابسي على عجل لاصطحبك للمنزل لترتاحي"

واندفع فعلا ينفذ وخلفه مؤمن وقد لحقهما حازم بالشكر والعرفان لجميلهما ثم عاد أدراجه ليجلس من جديد على مقعده ينتظر خروج زوجته من غرفة العمليات ليتبعها لغرفة العناية الفائقة ولكن فجأة تندفع سيدة تخطت العقد السادس بقليل هاتفة بنزق:"ماذا حدث يا حازم؟ كم أخبرتك أنها لا تُقدر النعمة التي بين يديها! إنها لا تستحقك"

هتف حازم فيها بصوت مكتوم:"هذا ليس وقته يا أمي .. أرجوكِ "

انتبهت مي في تلك اللحظة لتلك النبرات المستفزة وارتجف جسدها عندما أعادتها تلك النبرات لذكرى كثيرا ما حاولت وأدها في أعماق ذاكرتها لكنها عادت جلية حية في تلك اللحظة .. إنها أمه .. بالتأكيد هي ..

صاحبة الصوت ذو الرنة المميزة الذي ترك بها جرحا لم يندمل حتى هذه اللحظة ..

حاولت أن تضع كفها على أذنيها لتمحو أثر ذبذبات ذاك الصوت المقيت على روحها لكن بدلا من ذلك وجدت من يمسك بكفيها جاذباً إياها من على مقعدها يسألها:

"يبدو عليكِ التعب جلياً .. هيا بنَا"

كان ياسين .. صوته أخرجها من مأزق ذكرياتها المقيتة وحجب بنبراته القوية المليئة بالأمان والاهتمام نبرات تلك المرأة التي لا تزل تذكرها بوجعها ..

جذبها ياسين خلفه وهو لايزال يحتضن كفها إلا أنه توقف عندما هتف حازم يناديه ليعرفه على والدته .. كان ذلك فوق احتمالها فهي كانت في سبيلها للابتعاد:"دكتور ياسين يا أمي .. له الفضل في إنقاذ زوجتي"

أومأت المرأة له بغطرسة واضحة دون حتى كلمة شكر واحدة ثم أشار حازم لمي قائلا:"وهذه الدكتور مي .. لولا

تبرعها بالدماء ما تم إنقاذ نجلاء "

مطت أمه شفتيها بنزق هامسة:"وما الفائدة والطفل قد مات؟"

تجاهلها حازم مكملا:"الدكتورة مي زميلة قديمة في المشفى الذي كنت أعمل به في الخارج"

انتبهت أمه الآن وقد التقطت إشارة ابنها لتهتف في صدمة: "هل هي .. ؟" ولم تستطع أن تكمل تساؤلها وهي تنظر لياسين بريبة ليكمل حازم مؤكدا:"والدكتور ياسين هو زوجها"

لتهتف أم حازم بصدمة لم تستطع إخفاءها:"زوجها! حقا؟"

لينتبه ياسين لما يدور وإلى وجه مي الشاحب وعدم نطقها بحرف واحد فأدرك أن في الأمر سر ما .. ولا يعرف لِمَ اندفع ليحتضن كتفي مي ويقربها إليه بمودة هاتفاً وهو ينظر لمي بسعادة:"نعم زوجها .. ولي الفخر بالطبع"

ليمتقع وجه السيدة العجوز بحنق ولا تنبس بحرف واحد .. أنزل ياسين يده من على كتفي مي وضم كفها من

جديد ليجذبها خلفه ويستأذن مودعاً ونظرات المرأة المتغطرسة تتبعهما في عدم تصديق .

****

جلس كلاهما في السيارة في طريقهما للمنزل والصمت يشملهما.. كانت هي غارقة في ذكرياتها التي أثارتها رؤية حازم اليوم و ....

ومفاجأة رؤية والدته كانت القاصمة!

وتنهدت بصوت مسموع لم تنتبه أنه وصل لمسامع ياسين الذي كان يراقب خلجات نفسها مرسومة على ملامح وجهها الشاحب لا يعرف ما الذي دفعه ليمد كفه ليحتضن كفها وللعجب لم تجذبها كما كان متوقعا بل تركتها تركن للأمان الذي تفتقده بين كفه ..

ابتسم بسعادة لردة فعلها غير المتوقعة والتي جعلته ينظر إليها بمودة قائلا:"الصراحة .. زوجة الدكتور حازم كرمها الله بأم زوج .. ملاااك "

انفجرت مي ضاحكة لتعليق ياسين ولم تتنبه إلا وهي تهتف مازحة:"من المفترض أن أحمد اللّه ألف ألف مرة .. ففي يوم ما كنت سأكون مكانها"

قلّت ضغطة كفه في احتضان كفها عندما استوعب الأمر وأدركت هي تأثير هذا الخبر المفاجئ عليه عندما انحرف مقود السيارة قليلا بين يده قبل أن يترك كفها ويسيطر عليه بكلتا يديه ويحل الصمت من جديد حتى وصلا للمنزل .. جمعهما المصعد وشملهما إحساس غريب في هذا الحيّز الضيق.. لا تعرف ما ذاك التوتر الذي شملها كلما رفعت نظرها لتقابل نظراته المتسمرة على وجهها ..

إنها تكاد تختنق .. ليس من جراء ضيق المصعد بقدر ما كان بسبب تلك النظرات التي تراها تنبعث من عمق تلك العيون التي تتفرس فيها بذاك .. ذاك ماذا؟!

لا تعرف ما كنه ذاك الشعور المنبعث من حدقتيه الغائمتين!

وصلا لطابقهما فخرجت من المصعد هاربة يتبعها هو في تململ عجيب ..

قابلهما الحاج حسن وهو يفتح باب شقته يضع بعض من الأغراض خارجه .. ابتسم بسعادة عندما رآهما لأول مرة قادمين من الخارج معا كأي زوجين طبيعيين فهتف بغموض:

"اكتمل الناقص .. و لم يكتمل"

ودعهما بابتسامته المعهودة وهو يطالعهما لآخر لحظة قبل أن يغلق بابه خلفه وهما يفتحا باب شقتهما ولأول مرة لا تتعارك على أحقيتها في فتح باب شقتها بل تركته يفتح الباب بمفتاحها ويدفعه لتدخل هي .. تضع قدمها داخل الشقة وكانها تدخلها لأول مرة أيضا يتملكها شعور عجيب لا تستطيع وصفه أو حتى تفسيره ..

اندفعت لحجرتها تحتمي بها كعادتها لكن أين يمكنها أن تحتمي من تلك الخواطر التي تطاردها ومن تلك المشاعر العجيبة التي تنبثق من أعماق روحها تنذرها بأن هناك

شيء ما .. غامض وآسر يجذبها إليه وهي لا تستطيع التراجع ..

اندفعت لفراشها وأغلقت عيونها إرهاقًا وغطت جسدها بالكامل وتدثرت كشرنقة لعلها تهرب من ذاك الشيء المبهم..

وأخيرا غرقت في النوم الذي دوما ما كان مهربها الوحيد .

الفصل الثاني عشر

دخل حجرته بعد تلك الليلة الطويلة .. فمنذ الفجر وهم في عراك ما بين الموت والحياة لإنقاذ حياة زوجة حازم .. تنهد في تعب واضح وتمدد على فراشه الذي ابتاعه حديثا بعد أن ملّ افتراش الأرض على تلك المرتبة ..

أخذ حمام دافئ اعتقادا منه أنه سينقله مباشرة لعالم الأحلام بعد ذاك الإرهاق طوال النهار ..

لكن لا فائدة.. فقد تقلب على الفراش لأكثر من ساعتين ولا نوم يأتي ولا حتى نعاس يقترب ..

رأسه يغلي كمرجل من كثرة الخواطر وتداخلها واضطرابها والتي كانت كلها تدور حول تلك القصيرة القابعة بالغرفة المجاورة ..

لا يعرف ما تلك المشاعر التي بدأت في التحرك تجاهها!

كثير من المسؤولية وقدر لا يستهان به من الاهتمام،

وبعض من مودة مخلوطة بتعود محبب ..

لقد عرف أين يكمن جرح قلبها.. ذاك الحازم الأخرق

وأمه الشمطاء ..

أدرك ذلك من تلك النبرة التي قالت بها جملتها الوحيدة

في السيارة .. إنها لابد وأن تحمد الله ألف مرة لأنها كانت في

يوم ما ستكون في موضع زوجة حازم المسكينة ..

كانت نبرة تحمل القدر الكافي من الوجع و الألم على قدر

ما تحمل نفس القدر من الحمد والشكر لأنها لم تكن ..

استطاع بسهولة إدراك مشاعرها وتضارب أحاسيسها في تلك

اللحظة بمهارة وشفافية أدهشته هو نفسه في المقام الأول

كما أدهشه جرأته في إمساكه بكفها وكذلك رد فعلها

الذي زاد من تعجبه بقدر إحساسه بالسعادة لحظتها ..

تقلب على الفراش من جديد كأنه ينام على فراش من

أشواك تؤرق راحة باله و صفاء سريرته ..

وفجأة انتفض مندفعا من الغرفة على صرخاتها القادمة

من خلف الجدران التي تفصلهما ..

اندفع لداخل حجرتها دون استئذان ليفتح ذاك الضوء

الخافت بجوار فراشها ليجدها تنتفض وقد غطى شعرها

القصير المتناثر ملامح وجهها ..

جلس على طرف الفراش وقد تناول من على المنضدة المجاورة

كوبا من الماء قدمه لها هامساً وهو يربت على كتفها:

"اهدأي، لم يكن سوى كابوسا لقد انتهى يا مي .. انتهى"

رفعت وجهها إليه لتنكشف ملامح وجهها الملتاعة وقد هاله

نظراتها الموجهة إليه بما تحمل من فرحة وعدم تصديق ..

لا يعرف ما الذي رأته في حلمها جعلها تنتفض بهذا الشكل

وتنظر إليه بهذا الفرح .. كل ما كان يعنيه ساعتها هو

تهدئة ارتجافات جسدها المتعاقبة والتي لم تنتهِ بعد ..

ربت من جديد على كتفها وهو يمد كوب الماء بقرب شفتيها

لترشف منه في هدوء ولازال نظرها معلقا به

وكأنها تتأكد أنه لازال هنا معها..

وضع الكوب جانبا ودفع كتفيها في بطء لتعاود التمدد من جديد وهو يزيح خصلات شعرها عن جبينها ويجذب الغطاء على جسدها وما إن هم بالانصراف حتى وجد كفها الصغير يحتضن إصبعين من كفه وصوتها المتحشرج الباك يهمس بضعف ورجاء:"هل يمكنك البقاء بقربي قليلا؟"

كان ينوي الرفض .. فنظراتها تلك تدفعه لمزيد من التشوش و عدم الاستقرار الذي يكرهه لكن ارتجافة جسدها الآن مع تلك الشهقة المنبعثة من أعماق روحها كتابع لبكاء حار ومضن جعلته يومئ بالإيجاب بلا إرادة ..

جلس مجاورا لها لا يعرف ما عليه فعله إلا أنه وجد نفسه بغير وعي يمد كفه ليضعها على جبينها المتعرق ويهمس بأدعية بسيطة كانت دوما ما تجعله يغفو في حجر أمه عندما يصيبه الهم وتهاجمه الكوابيس وكأن الأدعية بصوت أمه كانت

الدرع الحصين لهجماتها ..

لا يعرف لِمَ تذكر تلك الأدعية فجأة وتسلل إليه صوت أمه العذب وهي تتلوها على جبينه الندي كجبينها الآن .. ابتسم بشوق للذكرى واستمر في ترديد أدعيته و تلاوة آياته التي جعلتها تهمهم في راحة وتغرق في نوم عميق لم تنل مثله منذ زمن طويل .

****

شعرت بالبرد يحيطها و كأنها تقف في مواجهة ريح قوية تجعلها ترتجف مما جعلها تفكر في جذب الغطاء على جسدها كي تستمد منه بعض من دفء لكنها وجدت جسدها مكبل بأذرع من حديد لا تستطيع منها فكاكاً .. اعتقدت أنها تحلم فقررت إخراج نفسها من ذاك الحلم الخانق وفتحت عيونها برفق تتطلع حولها لتكتم أنفاسها في صدرها بقوة حتى لا تنتفض من هول ما رأته ..

كانت بكليتها تقبع بين ذراعيه لا تستطع التحرك قيد

أنملة كفاها نائمان على صدره ورأسها مزروع ما بين ذقنه وكتفه وذراعاه تحيطان بجسدها كأنهما أذرع من حديد يأسرانها ..

لا شيء فيها يتحرك سوى عيونها التي أدركت بها الموقف بمجمله وأخيرا تنبهت من أين يأتي ذاك البرد الذي تشعر به فإذا بها أنفاسه العميقة التي يزفرها فوق رأسها التي يرتكن عليها ذقنه .. ارتجفت رغما عنها وتعجبت على الرغم من غرابة الموقف الذي وجدت نفسها فيه إلا أنها ابتسمت في حبور .. لا تعرف ما الذي دفعها للابتسام و لولا ما هي عليه لقهقهت ضاحكة .. هل أصابها مس من جنون؟! ربما .. رفعت رأسها ببطء شديد حتى لا توقظه وبدأت في ملاحظة قسمات وجهه وتفصيلات ملامحه الرجولية .. جبهته العريضة وحاجبيه الكثيفان ..نزولا لعينيه المغلقتين ورموشه الحادة ثم أنفه الشامخ الذي يضرب وجهها بأنفاسه الحارة وهي لا تُبالي وأخيرا شفتيه !

ازدردت ريقها بصعوبة وصرفت نظرها عن وجهه وهمت بأن تشعره باستيقاظها إلا أنها عدلت عن الفكرة فورا ..

فكيف تجعله يدرك أنها على علم بنومها في أحضانه؟!

الأحضان.. دوما ما كانت تتساءل ما كنه تلك المشاعر التي يستشعرها البشر في أحضان من يحبون؟!

وها هي بين ذراعيه وفي عمق أحضانه وتشعر بأمان غريب لم يمر عليها الإحساس به من قبل، شعور بالاحتواء والرغبة في البقاء للأبد ها هنا، الرغبة في الاحتماء من ظلم العالم ومرارات الحياة .. وبلا وعي منها دفنت رأسها في صدره كأنما تستمد كل ما كان باستطاعتها ادخاره من أمان وحنان و دفء لتكتنزه في أيامها الباردة بعيدا عنه ..

أدركت فجأة أنه بدأ يتحرك في حذر معلناً استيقاظه فادعت هي النوم وأغلقت عيونها في سرعة لينسحب هو من الفراش مبتعداً و هو يلقي عليها نظرة أخيرة ليتأكد أنها لاتزال نائمة.

همّ بالرحيل وهمت هي بفتح عينيها إلا أنها تنبهت بأنه يعود أدراجه في هدوء لينحني و يلثم جبينها برقة ويندفع خارج غرفتها مغلقا الباب في حرص شديد ..

ما إن تأكدت أنه أغلق باب الغرفة حتى فتحت عيونها وهي ممددة تتطلع للسقف في صدمة وعدم تصديق .. هل قبلها حقا ؟!

رفعت كفها بتردد لتضع أصابعها على موضع قبلته على جبينها وفجأة .. اندفعت من تحت غطاءها تقفز على الفراش كالمجنون الذي أصابته نوبة هيستيرية قوية جعلته يتقافز كالممسوس بسعادة .. وأخيرا قذفت بجسدها على الفراش وهي تلهث من فرط سعادتها وجنونها .

****

مرت عدة أيام على تلك الليلة العجيبة والأعجب هو حالهما فقد كانت تلك الليلة سببا جديدا لتباعدهما في تلك العلاقة الغريبة التي تشبه حبلا مطاطيا ..

فها هي لليوم الثالث على التوالي تحاول تجنب الظهور بحضرته وتنتظر خروجه أو نومه واعتزاله في حجرته حتى تستطيع الخروج من غرفتها وكسر عزلتها ولو قليلا ..

دخلت للمطبخ تعد بعض الطعام وفجأة تذكرت مشاعرها الدافئة وهي بين أحضانه فابتسمت في حبور وشردت لتلك اللحظات وأخيرا رفعت كفها بشكل لا إرادي تتحسس موضع قبلته اليتيمة وتبتسم ابتسامة بلهاء هي عنوان وجهها منذ تلك الليلة .. وأخيرا تستفيق على رائحة شيء يحترق على الموقد الذي تقف أمامه دون أن تنتبه لتقهقه و هي تدفع الطعام المحروق بعيدا وتحاول إنقاذ ما يمكنها إنقاذه وهي تهمس لنفسها مؤكدة أنها أحرقت أطعمة في الثلاثة أيام الماضية بقدر ما أحرقت منذ تعلمت الطبخ ..

انتبهت على خياله الذي مرّ بالمطبخ دون أن يستطلع ما يحدث بالداخل كعادته حتى أن رائحة طعامها المحروق لم يسترع انتباهه ..

إنه يتجنبها بالمثل .. لكن لِمَ ؟!

هي تتجنبه لأنها لا قِبَلَ لها لمواجهته فما إن يطالعها محياه تتذكر تلك الليلة حتى تشتعل خجلاً لا تستطيع مداراته أو إخفاء ملامحه البادية على وجهها ..

لكن هو .. لِمَ يتجنبها؟ وقد وفرت على كلاهما الإحراج والخجل و ادّعت أنها لازالت تغط في النوم !

انتفضت عندما أتاها صوت إغلاقه باب الشقة بعد رحيله فتنهدت وهي تهز رأسها في حيرة .

عادت لما كانت تصنع على الموقد وما هي إلا لحظات حتى سمعت طرقا على باب الشقة.. أغلقت الموقد خوفا من احتراق الطعام ربما للمرة العاشرة واندفعت تفتح الباب لتجده الحاج حسن يبتسم في وجهها كعادته ..

"صباح الخير يا طبيبة عظامي"

انفجرت مي ضاحكة على اللقب الذي أطلقه عليها الحاج حسن متفكهاً وردت في حبور:"صباح الخير يا حاج حسن..

أرجو أن تكون عظامك بخير "

أومأ الحاج حسن مؤكدا:"بالطبع إنها بألف خير ..

وكيف لا وأنتِ طبيبتها وخاصة مع ذاك الدواء الذي

وصفته لي في المرة الأخيرة.. إنه سحر .. أعاد لمفاصلي

شبابها الضائع"

ابتسمت مي بفخر:"أسعدني سماع ذلك "

ابتدرها الحاج حسن متسائلا:"أحتاج لبعض الأدوات اللازمة

لإصلاح بعض الأغراض بشقتي .. فهل أجدها لديكِ؟"

"لا أعرف .. أنا لا أستطع التفريق بين تلك الأدوات و بعضها ..

لا خبرة لي بها"

أفسحت له الطريق وهي تستطرد هاتفة:"تفضل إلى المطبخ

حيث يمكنك التعرف على ما تريده"

دخل الحاج حسن وتركت هي الباب مواربا وتوجها للمطبخ

وأخذ يبحث حيث أشارت له ..

و عادت أدراجها عندما سمعت طرقا على باب الشقة من جديد

فتحت الباب لتفاجأ بحازم يقف و ابتسامة سمجة تكسو ملامح وجهه وبين كفيه باقة من الزهر وعلبة من الشوكولاتة التي تفضلها .. والتي ما إن ألقى التحية حتى ألقاها بين ذراعيها في عجالة مخافة أن ترفض استلامهما .. نظرت لهداياه القابعة بين ذراعيها وعادت للنظر إليه متسائلة في تعجب:"خيرا إن شاء اللّه .. هل من جديد بخصوص زوجتك يا دكتور حازم؟"

ابتسم باضطراب:"إنها تشكرك وترسل إليكِ محبتها وهذه الهدايا مجرد رد بسيط على ما تكبدته في سبيل إنقاذها"

ردت بحزم:"أو ليس من المفترض تقديم الشكر أيضا للدكتور ياسين؟ فالفضل الأول يرجع إليه أم أني مخطئة؟"

اندفع هاتفاً:"آه .. طبعا .. بالتأكيد "

دفعت إليه هداياه وهي تقول بحسم:"إذن عد بهداياك عندما يكون موجودا ليستقبلك هو في بيته و يرحب بها"

هتف حازم في حنق:"لا داع لهذه اللعبة يا مي .. أنا سألت

وعرفت الحقيقة كاملة و .. ما هي طبيعة علاقتكما"

تمسكت بثباتها وهي تجيب بنبرة حاولت تغليفها بالبرود:

"حسنا .. وماذا تريد الآن؟"

هتف بلهفة:"أريد مي .. مي التي أضعتها من بين يديّ

كالمغفل والتي لن أسمح لأيّ كان أن يبعدني عنها

من جديد"

ضحكت بسخرية:"حتى السيدة والدتك !"

صمت ولم يعقب ..لتقطع هي صمته الأخرق وتقول بحزم

وصرامة:"هذا البيت لا تقربه من جديد وما عرفته عن

علاقتي بالدكتور ياسين كان صحيحا في البداية لكن

الآن أنا زوجته وسأظل زوجته التي تحافظ على كرامته

واسمه .. فرجاءً لا تقرب هذه البناية مرة أخرى وأسقطني

من ذاكرتك القذرة للأبد"

رحل في هدوء غير مأسوف عليه وظلت تتطلع إليه و هو يغيب

داخل المصعد وتتعجب كيف في يوم من الأيام أحبت هذا

الشخص و حزنت لابتعاده! دخلت الشقة لتترك بابها مواربا من جديد بعد أن تذكرت أن الحاج حسن لازال بالداخل يعبث بالأدوات التي يبحث فيها عما يريده ..

وفجأة وجدت الباب يُدفع بقوة ليدخل ياسين هائجا مندفعا إليها ..

ما إن رأها أمامه حتى هجم عليها يمسك بمعصمها يهزها صارخاً وهو يغلق الباب خلفه في غضب هادر:"ماذا كان يفعل ذاك المسمى حازم هنا؟"

وهزها بعنف صارخاً من جديد:"انطقي ما الذي أتى به؟"

لم تنطق بحرف واحد من شدة صدمتها لثورته وغضبه الهادر إنها المرة الأولى التي تراه فيها خارجا عن السيطرة بهذا الشكل ..

استمر في هزها من جديد وهو يهتف بصوت كالرعد:

"هل عاد ليجدد الود القديم ويعيد ما كان بينكما؟ هاااا حسنا.. لا مانع لدي فهذا شأنكِ لكن ليس وأنتِ زوجتي

وتحملين اسمي .. حتى ولو كان زواجنا شكليا ..

فهذا لا يعطيكِ الحق لتلويث اسمي .. فهمتِ؟!"

لا تعرف ما الذي دهاها! ما الذي حل بلسانها وجعلها لا تستطيع النطق بحرف واحد دفاعا عن نفسها ودرءا لاتهاماته الباطلة في حقها! لا تعرف ما الذي جعلها تقف خرساء لا قِبَلَ لها على مواجهته تتقبل طعناته لكرامتها وكبريائها ولا تحرك ساكناً..

حتى دموعها أبت الظهور وظلت تتطلع إليه بعيون زجاجية لا حياة و لا روح فيها ..

حتى دفعها بعيدا عنه وهو يلهث من فرط عصبيته وثورته الطاغية .. وأخيرا ..

قطع ظهور الحاج حسن من الداخل ذاك الجو المحموم لينظر كل منهما إليه في صدمة !

هي نظرت إليه مصدومة وقد تذكرت أنه لازال بالداخل وقد سمع كل ما قيل ..

وهو نظر إليه مصدوما لعدم معرفته بوجوده من الأساس ..

اقترب الحاج حسن وفي يده مطرقة ما .. وهتف بنشوة:

"ها قد وجدت ما كنت أبحث عنه يا مي أشكركِ يا ابنتي"

وكأنه أدرك متأخرا وجود ياسين أو هكذا ادعى والذي

كان يقف مشدوها ولم يتخلص من صدمة وجود الحاج حسن

والذى هتف في مودة:"مرحبا يا دكتور ياسين"

و بدأ في التوجه للخارج حيث شقته ولكن قبل أن يفتح

الباب مغادراً اتجه بكليته لمي وهتف بفخر:"أحسنتِ صنعاً

بذاك الأخرق المدعو حاتم .. أو حازم .. لم أتبين الاسم

جيداً .. رغم أنه كان يحمل علبة من نوع الشوكولاتة

الذي أفضله كثيرا" انفجر مقهقها: "لكن لا بأس .. فما

فعلته به كافياً وزيادة ليمنعه من التفكير في المرور بذاك

الشارع مرة أخرى لا الاقتراب من بنايتكما فقط كما

حذرتيه"

رفع العجوز إبهامه في وجهها مؤكدا على صحة تصرفها ثم فتح الباب وغادر بهدوء مخلفا صمتاً ثقيلا ..

أثقل من الجبال لم يقطعه إلا اندفاعها في اتجاه غرفتها لتترك ياسين يقف مشدوها يتطلع حوله بذهول وقد غمره الندم .. حد الغرق .

الفصل الثالث عشر

مرت عدة أيام منذ ذاك اليوم المشؤوم الذي ظهر فيه ذاك الأحمق المدعو حازم على عتبة منزلهما بهداياه .. لا يعرف بمَ شعر عندما رآه خارجا من باب البناية .. كل ما استطاع تمييزه هو دماءه التي كانت تغلي غيرة و قهرا وحقدا عليهما معا .. على حازم غريمه القديم الذي ظهر من جديد وتلك القصيرة التي بدأت تحتل بالفعل قدر لا يستهان به من اهتمامه حتى أنه لم يستطع تمييز حازم وهو يحمل هداياه عائدا بها بعد أن رفضت مي قبولها ..

يا لغباء الغيرة! وكيف لها أن تُعمي التعقل وتعصب عينيّ الحكمة!!

كم من المرات حاول الاعتذار؟!

إنه لا يتذكر كم من المرات خرج من غرفته عازما على

الذهاب لحجرتها وطرق بابها حتى يعتذر منها ويطلب الصفح على ما بدر منه في حقها !

والآن هذه المرة ليست استثناءًا فها هو يقف أمام باب حجرتها يهم بالطرق على الباب لكن شهقات بكاءها التي وصلت من خلف بابها جعلت كفه تتجمد قبل أن تطرق ..

يا اللّه !! هل مازالت تبكي؟!!

لا يعلم ما الذي عليه فعله .. هل يطرق بابها ليحاول أن ينتشلها من بكاءها الذي يدرك جيدا أنه سببه؟!

أم يرحل تاركا إياها ولا يحاول الاقتراب أكثر من هذا من محيط حياتها؟!

فاقترابه ذاك هو ما جلب على كلاهما ما هما بصدده الآن .. تسمرت أقدامه وشهقات بكائها تمزقه وتفقده ثباته وتعقله المعتاد .. لم يشعر إلا هو يغادر محيط حجرتها هاربا من سياط تنهداتها الباكية .

دقات متتابعة على باب حجرتها وأخيرا صمت مطبق

جعلها تمسح دموعها و تنهض تقترب من الباب تتسمع ما

يحدث بالخارج ..

منذ ما حدث من عدة أيام وهى تبكي بحرقة عندما تتذكر

نظراته النارية المليئة بالشك وصراخه في وجهها بتلك

الكلمات التي جرحتها بشكل قاس ..

حصيلتها من الكلمات القاسية الجارحة في تزايد مستمر

كلما اقتربت من رجل ما .. زادت بشكل مطرد آلامها

وأوجاعها ودموعها وذكرياتها الحزينة ..

انتظرت طرقات أخرى لكن لم يكن هناك إلا الصمت الذي

دفعها لتفتح الباب قليلا حتى ترى ما هناك .. و لم ترَ على

مستوى نظرها إلا الفراغ .. همت بإغلاق الباب لتجد على

الأرض هناك أمام عتبة بابها علبة كرتونية مربعة تحمل

بداخلها كعكة ما وبجوارها ترقد حزمة رائعة من الورود

التي تفضلها ..

فتحت الباب واندفعت تنحني لتتأكد أن هذه الأشياء التي تراها رؤي العين هي حقيقة.. تلمست الأزهار بأناملها وفتحت العلبة الكرتونية الملونة ببطء ليطالعها كعكة ضخمة بالشوكولاتة التي تعشقها ويتوجها بطاقة تناولتها بكف مرتعش وهي تبتسم عندما طالعتها الكعكة وذاك المثلث الكبير المفقود منها في أحد الأركان ..

فتحت البطاقة ببطء ودقات قلبها تتسارع بشكل جنوني حتى أنها ما عاد باستطاعتها التقاط أنفاسها من فرط انفعالها فأغلقت البطاقة من جديد وهي تدفع نفسها دفعا للهدوء وتمالك الأعصاب والتقطت عدة أنفاس عميقة على فترات متقاربة وأخيرا فتحت البطاقة في عجالة حتى لا تفقد شجاعتها من جديد لتطالعها الأحرف ترقص أمام عينيها ..

لم تنتبه إلا الآن أن عيونها لازالت تملؤها الدموع كفكفت دمعها وبدأت في القراءة:"آسف .. لا أعرف كم

مرة عليّ تكرارها حتى تصفحي! لكن .. أنا حقا آسف

فقد تماديت كثيرا ولا عذر لي"

فغرت فاها غير مصدقة .. هل يعتذر بحق؟!

أي نوع من الرجال هو؟! لم يصادفها مطلقا ذاك الرجل الذي

يعتذر .. بل ويجيد أيضا فن الاعتذار ..

لا تعرف كم استغرقتها أفكارها أمام كعكته وزهوره وهي

ممسكة بتلك البطاقة إلا أنها نهضت في عجالة وهي

ممسكة بالبطاقة وقالب الحلوى وتوجهت لغرفته لتطرق

بابها في تحفز ..

خرج هو متصنعا النعاس وهو يضع كفه على فمه متثائباً

ويقف أمام الباب ناظراً إليها و إلى ما تحمله في تعجب مصطنع

"ماذا هناك يا دكتورة مي؟ هل قررتِ الاعتذار أخيرا؟!

فعلتِ الصواب "

هتفت حانقة:"دكتور ياسين .. لم يكن هناك من داع

لكل تلك التكلفة لتقول أنك آسف"

هتف متعجباً:"أنا؟! أنا لم أفعل "

هتفت بحنق متزايد:"وهذه البطاقة وقالب الحلوى والورود؟"

هز كتفيه مستنكرا:"لا أعرف من أحضرهم.. ربما عِوَض أو الحاج حسن "

"أنت تمزح بالتأكيد .. ما الذي سيجعل الحاج حسن يأتي بقالب حلوى وزهور حتى باب غرفتي؟"

هتف ساخراً:"وما الذي أتى به في السابق لأجده خارج من مطبخنا يحمل أدواتنا بيده؟!"

هتفت بصدمة شاهقة:"أنت تغار من الحاج حسن؟"

هتف حانقاً لأول مرة:"أنا لا أغار بالمناسبة "

قررت إثارة غيظه والأخذ بثأرها:"حسنا.. سأعتبر أن الزهور والحلوى اعتذارا رائعا من الحاج حسن فمن غيره يستطيع الاعتذار بهذا الشكل الرائع؟"

استدارت مغادرة ليندفع من الحجرة ويقف أمامها يسد عليها الطريق هاتفاً:"بالمناسبة .. أنا من وضع الكعكة والزهور "

هتفت بصدمة مصطنعة:"حقاااا ؟!"

هز رأسه مؤكدا:"نعم"

تساءلت بحذر:"هل وضعتها لتعتذر ؟!"

"لا .."

أصابتها إجابته بصدمة ظهرت في أعماق نظراتها لتجعله يستطرد هاتفاً:"الأزهار من أجل الاعتذار .. أما الكعكة فهى من أجل عيد ميلادكِ"

همست غير مصدقة:"عيد ميلادي!!!"

"نعم .. ألا يوافق اليوم ذكرى عيد ميلادك؟!

لقد عرفته من بطاقتكِ الشخصية يوم عقد قراننا"

أجاب بكلماته الأخيرة سؤالا راودها لكن .. لازال الذهول يكتنفها من أفعال هذا الرجل القابع أمامها الآن ..

لِمَ لا تستطيع الاستمرار في خصامه ومحاربته؟!

لِمَ لا يمكنها الغضب منه والاستمرار في السخط والحنق عليه؟! إنه يستطيع بأفعاله أن يمحو كل حقد وغضب وحنق

يمكن أن تظل أيام تشحن نفسها بهم تجاهه ..

أخرجها من خواطرها عنوة وهو يهتف بمرح وابتسامته التي تهلكها تتوج ملامحه:"كل عام وأنت طيبة وبخير"

همست بخجل وإحراج:"وأنت طيب وبخير وسعادة"

أشار لقالب الحلوى الذي تحمله متسائلا:"ألن نأكل قالب الحلوى الآن ؟!

هتفت ساخرة رغبة في مشاكسته:"أعتقد أنك أكلت حصتك منه بالفعل"

ارتجت كالعادة جدران المنزل حتى هي كادت تسقط قالب الحلوى من أثر ضحكته الصاخبة وهو يهتف مازحاً:

"كنت أتذوقها فقط "

لتجاريه مازحة:"بالتأكيد، كيف أنسى أطباق الأرز باللبن!"

قهقه من جديد:"ألم تنس بعد؟! يا لكِ من سوداء القلب!"

هتفت ساخرة:"نعم .. أنا سوداء القلب وأنت وردي الملابس الداخلية"

هتف ساخراً:"البركة في .. "

كان سيقول فيكِ لكنه عدل حديثه قائلا:

" في قميصكِ الوردي"

"حسنا .. على أي حال شكرا لك على تذكرك يوم مولدي"

"لا شكر على واجب"

اندفعت لغرفتها وهي تحتضن قالب الحلوى كطفلها ووضعت الأزهار في إحدى المزهريات التي تصادفها دوما في ذهابها وإيابها حتى تظل دوما أمام أعينها ..

و قبل أن تدفع باب حجرتها لتغلقه هتف بها هو:

"ألن أنال بعضا من قالب الحلوى؟!"

لم تجبه لكنها فعلت أكثر الأشياء حماقة وطفولية قامت به في حياتها أخرجت له لسانها وهي تغلق الباب وقهقهت حتى دمعت عيناها وتعجبت كيف خرجت من غرفتها بحال ودخلتها الآن بحال مناقض تماما!! .. وكلتا

الحالتين هو سببهما الأوحد .

فتح باب غرفته بعد أن سمع عدة طرقات عليه اندفع ليفتح الباب في سعادة وابتسامة اختفت فورا من على شفتيه عندما طالعه الفراغ ..

نظر للأسفل ليجد طبق به مثلث كبير من الكعكة قابعا امام عتبة حجرته لتعاود الابتسامة الظهور على شفتيه من جديد و هو ينحني ليلتقط الطبق ويقرأ ما خطته أناملها على تلك الورقة التي ألحقتها بالطبق .." اعتذار مقبول جدا!! كعكة راااائعة .. لم أستطع أن أتناولها وحيدة دون مشاركتك إياها ..سلامي لشرفتك المتنامية ... بالهناء و الشفاء "

انفجر ضاحكاً عند ذكرها لبطنه المنتفخة قليلا ليضع كفه عليها رابتاً في اعتزاز ويبدأ في التهام الحلوى بشهية مستمتعا وعلى شفتيه ابتسامة رضا و .. معدته تشاطره الفرحة وتزغرد لأجل قالب الحلوى .. هديتها .

الفصل السابع عشر

كانت جولة كرة القدم الإلكترونية حامية وكانت صرخاتها هي وياسين تتعالى باضطراد مع كل هجمة من فريق أحدهما تجاه مرمى فريق الآخر حتى أن هاتف ياسين رن عدة رنات متتالية حتى انتبه لرنينه أخيرا وكان قد قرر تجاهله لولا أن طالعه اسم من يطلبه ..

فاندفع تاركا يد اللعب وتناول هاتفه في اهتمام واضح ونهض منتفضاً يجيب في سرعة ..

"نعم .. عمتي .. بخير .. حسنا .. الموضوع ليس كما سمعتِ .. حسنا .. حاضر .. حااضر "

كانت هذه ردوده على الطرف الآخر .. إنها عمته ..

وهل له عمة؟! تساءلت مي عندما تناهى لمسامعها تلك الكلمات المختصرة من المكالمة والتي لم تفهم منها ماذا يحدث .. لكنها أدركت أن هناك مشكلة ما ..

كان ياسين في طريق عودته إليها جلس مكانه أمام شاشة اللعب وأمسك اليد الإلكترونية ولكنه فقد شهيته للعب فجأة وشعر بتوتر وصلت لها ذبذباته بسهولة ..

هتف بعجالة قبل أن يفكر في الأمر ويتراجع عن طلبه:

"هل لي بطلب معروف منكِ؟"

هتفت مؤكدة:"بالطبع .. ماذا هناك؟!"

أشار للهاتف:"إنها عمتي"

صمت فشجعته ليسترسل باشارة إيجابية من رأسها فاستطرد محرجاً:"لقد علمت بطريقة ما موضوع زواجنا، إنها بالطبع غاضبة لأنها كل ما تبقى لي من عائلتي .. هي من تولت تربيتي إن صح التعبير "

وابتسم وهو يقول مازحاً:"لكن يبدو أن التربية لم تتمر بي كما قالت عمتي لتوها"

ابتسمت بدورها ولم تعقب .. فاستكمل قائلا:"هي تريدني أقصد تريدنا .. أنا وزوجتي أن نزورها في بيتها والاعتذار

منها لأنني لم ألجأ إليها كما يجب لتخطب لي الزوجة التي أريدها "

أومأت موافقة:"ولِمَ لا؟ زيارة لاسترضائها والعودة .. ماذا في ذلك ؟! إنه ليس معروفا حتى"

صمت قليلا ثم تكلم محرجا:"عمتي لا تعيش هنا .. إنها تعيش في بلدة ريفية تبعد عن هنا قرابة الساعتين وهذا يعني أن هناك احتمال لنبيت الليلة هناك "

أسرعت تجيب كعادتها دون تفكير:"وماذا في ذلك؟ ستكون زيارة رائعة بالتأكيد"

سألها:"هل هذا يعني أنكِ موافقة؟!"

"بالطبع .. أوافق جدا!! "

"و ماذا عن عملكِ؟!"

ابتسمت متحسرة:"عن أي عمل تتكلم؟!

العيادة لم يدخلها مريض واحد للآن .. وأنا قدمت أوراقي ومؤهلاتي كلها في أكثر من مركز طبي ولم يرد أحد حتى

الآن بقبولها مما يعني أن لا عمل لدي سوى الانتظار "

أومأ رأسه مؤيدا وقال بحماس:"حسنا .. فلتكن رحلة إلى الريف طلبا لبعض التغيير"

ابتسمت:"نعم .. فلتكن كذلك".

****

كانت رحلة جميلة على الرغم من ذاك الطريق غير الممهد في نصف الرحلة الأخير إلا أن المناظر الريفية واللون الأخضر على امتداد البصر أعطى صفاءا وراحة نفسية لكلاهما ..

وصلا أخيرا لمشارف القرية التي تقطنها عمة ياسين وبدأ يسير ببطء شديد حتى يستطيع المرور من خلال تلك الطرق الضيقة غير الممهدة وأخيرا انتهى ذلك الطريق ليصل لباحة واسعة هي الباحة الأمامية لذاك البيت الريفي المكون من طابقين مبني على الطراز البسيط بنوافذ تشبه المشربيات القديمة المطعمة بالأرابيسك .. أعجبها

المنزل ووقعت في غرامه منذ اللحظة الأولى وشعرت براحة عجيبة وهي تخط أولى خطواتها تجاهه.. انتفضت وهي تخفض رأسها مبعدة نظراتها عن استطلاع المنزل والتركيز على ذاك الصوت الأنثوي الذي تناهى لمسامعها مرحّبا بفرحة .. اندفع ياسين تجاه امرأة طويلة القامة ممتلئة الجسم قليلا على مشارف الخمسين من عمرها تطل ابتسامة مريحة على شفتيها وهي تفتح ذراعيها لاستقبال ياسين بود و محبة خالصة ..

كان ياسين وهو ينحني لتقبيلها كطفل صغير يستقبل أمه بعد طول غياب .. إنه يحب تلك المرأة حقا ويكن لها معزة خاصة وهي أيضا لا تقل عنه محبة وتقديرا ..

انتهت من ترحيبها بياسين ونظرت إليه وهي تنقل بصره بينها وبينه .. شعرت مي لحظتها أنه يتم تقييمها بعيني أنثى فتوترت وشعرت بالخجل يعتلي وجنتيها لكن كل هذا زال لحظة أن اقتربت منها المرأة واحتضنتها في مودة وترحاب

حقيقي هاتفة:"مرحبا بزوجة الغالي،ياسين هذا ولدي البكر .. قبل أن يرزقني الله بولدي صالح"

و على ذِكْر ولدها اندفع فتى في الخامسة عشرة من عمره يحتضن ياسين بتعلق محموم وأخيرا ينقل نظراته باتجاه مي .. فينكمش بخوف بين ذراعيّ ياسين ..

شعر ياسين بخوف صالح فأمسك بكفه وجذبه خلفه برفق في اتجاه مي وربّت على كتفه مطمئنا:"إنها مي يا صالح .. زوجتي"

أدركت مي منذ اللحظة الأولى حالة صالح الصحية .. كان من الأطفال الذين يعانون من متلازمة داون أو ما يطلق عليه الطفل المنغولي .. ابتسمت مي في وجهه محاولة إشعاره بالطمأنينة ومدت كفها لتبادله التحية وتضع كفها في كفه الذي أمسك بها ياسين ليشجع صالح ليعتاد عليها ويأنس لوجودها ..

كان لقاءا قصيرا ومؤثرا قطعته العمة هناء وهي تهتف:

"لن نبقى هنا اليوم بطوله هيا للداخل فقد جهّزت لكما فطورا فاخرا"

اندفع ياسين مهللاً:"ها هو الكلام المضبوط .. كم أوحشني الطعام من صنع يديكِ يا عمتي"

قهقهت العمة هناء هاتفة بفخر:"أعلم ذلك لذا أعددت لك كل ما تحب من أطعمة يا غالي"

همست مي ساخرة:"يبدو أنك ستقوم ببناء الدور الثاني لتلك الشرفة الغالية .. يااغالي"

انفجر ضاحكاً على تعليقها مما استرعى انتباه عمته فابتسمت بدورها في حبور لضحكات بن أخيها والذي افتقدت ضحكاته المرحة تلك منذ زمن بعيد وها قد عادت بفضل تلك الفتاة التي تزوج .

****

جلسوا جميعا على الطبلية في صحن الدار الواسع تأخرت قليلا تهذبا حتى يجلس الجميع لكن لم يجلس أحدهم حتى

أتت و أجلستها عمته بجوار زوجها واتخذت هي جانبه الآخر بينما أصر صالح على الجلوس قرب مي مما دفع أمه لتضحك قائلة:"يبدو أن مي ستحتل مكانتك في قلب صالح يا ياسين "

ابتسم ياسين في مودة لمي التي اعتلى الخجل وجنتيها وقال: "يبدو ذلك يا عمتي فهي قادرة تماما على احتلال القلوب و بمهارة "

رفعت نظراتها الخجلى والصدمة تزاحم الخجل فيهما لتطل من عينيها جلية لكلماته ..

يبدو أن الريف وجوّه الخلاب وطعامه الشهي الذي ينهل منه الآن قد أثروا جميعهم على حسن منطقه ..

ابتسمت هناء عندما قرر ياسين أن يزيد من حيرة مي وتخبطها ومد كفه بلقيمة صغيرة من الفطير الطازج المملؤة بالعسل في اتجاه فمها..

فغرت فاها في صدمة لفعلته وكان هو المطلوب بالضبط

ليلقي قطعة الفطير في فمها ويعود ليتناول طعامه

كأن ما فعله أمرا اعتياديا بالنسبة له ..

كانت صدمتها كبيرة حتى أنها كادت تختنق بطعامها

فتنفست بعمق وحاولت أن تولى اهتمامها لصالح الذي كانت

كفه تطيش في صحنه ببراءة طفل في الرابعة على أقصى

تقدير .. ابتسمت له و بادلها الابتسامة في محبة وليدة وإذ

فجأة يرفع صالح كفه بقطعة من طعامه ويضعها في فم مي

تقليدا لياسين انتبهت أمه وياسين لفعلة صالح ..

فعلت نوبة من الضحك وهتفت هناء:"ألم أقل لك يا ياسين

هاهو صالح يقرر أن ينافسك على قلب مي"

هتف ياسين مازحاً:"وأنا قبلت التحدي"

ذابت مي في مكانها خجلاً خاصة عندما هتفت هناء

مشاكسة:"أنا لا أحب لولدي أن يدخل في تحدي خاسر

من البداية"

ثم نهضت في حماس وهي تشير لولدها:"تعال معي

يا صالح نعد الشاي"

نهض الصبي في عجالة خلف أمه وهو يودع مي ملوحاً

فابتسمت وبادلته التلويح بكفها ..

ما إن عادت بنظراتها لياسين حتى وجدته قد ابتدرها بتقديم

لقيمة أخرى في اتجاه فمها ..

تجمدت يده أمام فمها المغلق ونظرات عينيه تستفسر ..

رفعت نظراتها لتواجه نظراته بحزم هامسة:"عمتك رحلت ..

فلا داع لما تفعل "

أخفض كفه ليضع اللقيمة على أطراف أحد الأطباق هامساً

ونظراته يكللها التعجب:"أتعتقدين أني أفعل ذلك لأجل

عمتي؟"

همست محاولة كظم غيظها وعدم رفع صوتها قدر الإمكان

"بالطبع .. أكيد هي لا تعرف طبيعة علاقتنا وأنت تريد أن

توضح كم أنت سعيد مع عروسك الجديدة أم أني مخطئة؟"

نظر إليها نظرة مطولة أودعها كل غيظه وهمس حانقاً:

"أنتِ لا تخطئين أبدا .. أنتِ دوما على حق"

ساد الصمت للحظات حتى قطعه قدوم صالح مندفعا تجاه مي وجاذبا كفها لتنهض وتحاول مجارة خطواته المسرعة حيث يصحبها ..

دخلت في تلك اللحظة هناء حاملة صينية عليها أكواب من الشاي فنهض ياسين وتسلمها منها وخرجا ليجلسا في مقدمة الدار حيث خرج صالح و مي منذ لحظات ..

ابتدرته هناء وهي تقدم له كوب الشاي:"يبدو أنك سعيد مع مي، أنا لا أصدق أن ياسين يفتح قلبه من جديد للحب .. أخيرا اُستجيبت دعواتي"

ابتسم ياسين ابتسامة يملؤها الشجن:"الأمر ليس كما ترينه يا عمتي، الوضع ...."

قاطعه صريخ ما قادم من حظيرة الماشية حيث اختفى صالح و مي منذ لحظات ..

وفجأة تندفع مي وصريخها يتعالى وهي تخرج من الحظيرة

تجري بذعر وحمار صغير ثائر يندفع خلفها ..

كان المشهد يدفع بحق للضحك ولم يستطع ياسين أن يتمالك نفسه وهو يراها تندفع خلفه لتحتمي به أخيرا من ذاك الجحش الصغير الذي على ما يبدو لم تلق مي إعجابه ..

استطاع صالح الاندفاع خلف الجحش والسيطرة عليه بسهولة بينما ظلت مي تختبئ خلف ياسين الذي كان لايزال يقهقه غير قادر على السيطرة على نفسه حتى دمعت عيناه ..

أخرجها أخيرا من خلف ظهره وهو يهمس مغيظا إياها:

"أخيرا وجدت من يأخذ بثأري منكِ.. كم كان مشهدا رائعا أثلج صدري بحق "

اندفعت مي لائمة:"وماذا لو أصابني ذاك الحمار بسوء وأنت تقف في حبور تضحك؟!"

ابتسمت هناء وهي تناول مي كوب الشاي:"لا تخافي .. إنه غير مؤذ وياسين يعرف ذلك ..إنه يفعل ذلك مع الجميع حتى أنا الوحيد الذي يحبه و يطيعه هو صالح .. لذا هو أخذكِ

عنده لتشاهدي حماره الصغير تعبير عن صداقته ومحبته تجاهكِ"

أومأت مي برأسها دلالة على إدراكها للوضع وللمرة الثانية تشعر أنها تثير سخط ياسين فتنظر تجاهه نظرة جانبية تحاول أن تستنتج منها ما يدور بخلده .. لكنها لم تستطع فقد كان هادئا على غير العادة كماء راكد ..

قطعت هناء الصمت هاتفة:"هيا يا ياسين خذ عروسك في جولة في أرضنا .. وتمتعا بذاك الجو المنعش حتى أعد الغذاء فأرسل في طلبكما

هتفت مي معترضة:"لا .. سأبقى معكِ لأساعدك في تحضير الغذاء "

أكدت هناء بحزم:"أنتِ هنا للمرة الأولى وأنتِ عروس جديدة لذا ما عليكِ سوى الاستمتاع بصحبة زوجك وانتظار الغذاء الذي أعده لأجل أحب شخص على قلبي وعروسه الجميلة"

ابتسم ياسين و هو ينحني ليقبل جبين عمته التي ربتت على كتفه في حنو وأخيرا دفعت بهما خارج الدار بحماسة ليستمتعا قدر استطاعتهما .

الفصل الخامس عشر

"من الجيد أنكِ ارتديتِ حذاءا يناسب طبيعة الأرض الزراعية"

كان ذاك تعليق ياسين الوحيد الذي ألقاه منذ خرجا معا من دار عمته بغرض الاستمتاع وزيارة الأرض الزراعية وكان ردها مجرد إيماءة من رأسها ..

وصلا الآن إلى حيث مكان ظليل تحت شجرة كافور وارفة ..

جلست متنهدة على أحد جذورها النافرة من الأرض وهي تتطلع حولها في إعجاب ..

سال ياسين مستفسرًا:"هل تشعرين بالتعب؟! قولي لو أردتِ العودة"

هزت رأسها رافضة:"لا لم أتعب .. ولا يجب لنا العودة الآن حتى لا تعتقد عمتك أن المكان لا يعجبني، ما هي

اقتراحاتك لقضاء الوقت حتى يأتي استدعاء عمتك من أجل الغداء؟!"

اندفع يقتطف بعض الثمار من هنا وهناك ويضعها أمامها ويجلس في أريحية على جذع أجوف كان بالقرب منها وأخيرا همس بنبرة مرحة:"أجمل اقتراح هو تناول الفاكهة حتى يحين موعد الغذاء"

غلبتها نوبة الضحك التي حاولت كتمانها فلم تستطع وهو يقشر الثمار التي حصل عليها مستمتعا .. كان أشبه بمن حصل على شيء لا يقدر بثمن ..

ناولها إحدى الثمار المقشرة فرفضت بإشارة من كفها فقال ناصحاً:"ستندمين إن لم تتذوقيها .. هي تختلف تماما في طعمها عن ثمار المدينة"

شعرت بالفضول أمام كفه الممدودة بالثمرة فتناولتها وبدأت في تذوقها وبالفعل وجدت طعمها شهيا جدا يختلف بالفعل عن طعم الثمار التي تتناولها في المدينة .. فرفعت حاجبيها

تعجبا .. فابتسم بفخر منتشياً:"ألم أخبركِ؟

هنا كل شيء لا يزال يحمل الكثير من النقاء البكر

الذي لم يُدنّس بعد"

شعرت بالجوع فجأة .. فهي حرفيا لم تتناول فطورها كما

يجب .. باستثناء لقيمات التحدى بين ياسين وصالح هي لم

تتناول شيئا يذكر ..

اندفعت ناهضة من مكانها تتلفت حولها وأخيرا وجدت إحدى

أشجار الموز فاندفعت باتجاهها تقتطف منها ما تشاء .. اندفع

ياسين خلفها و كان يذلل لها ما لا تطاله كفها ..

كم شعر بسعادة عجيبة وهو يراها بمثل ذاك الصفاء

والأريحية ..

كانت تجري كطفلة صغيرة انطلقت بعد أن فُك أسرها الذي

طال لسنوات ..

وصلا عند شجرة عريقة من السدر (النبق) وقد وصلت إليها

لاهثة وهو يتبعها بخطوات واسعة .. وقفا يلتقطان أنفاسهما

وفجأة وجدها تنهض تبحث عن شيء ما وأخيرا وجدته ..

التقطت أحد الأحجار ورفعتها للأعلى تهم بحدفها فهتف

ياسين ساخراً:"هل وصل بكِ الحنق لهذه الدرجة؟!

حسنا .. هناك حجر أكبر الحجم في ذلك الجانب"

لم تنتبه لسخريته منها بل قذفت حجرها على أحد الأغصان

ليصيبه بمهارة هي نفسها تعجبت لها وسقط العديد من النبق

كالأمطار على رأس ياسين الذى حمى رأسه بكفيه ..

صفقت بمرح واندفعت تلتقط حبات السدر تضعها في جيوب

كنزتها القطنية البيضاء تحتفظ بها ككنز ثمين ..

ابتسم ياسين لعفويتها بينما نظرت هي لكفيها وقد غطاهما

الغبار فاندفعت بتهور باتجاه احدى طلمبات المياه التي ترى

الأرض المجاورة .. لم تدرك أن الماء يندفع بذلك الشكل

القوى الا عندما وضعت كفها في اتجاه اندفاع الماء ..

صرخ ياسين ليحذرها في نفس اللحظة التي وضعت فيها

كفيها وكان صوت الماكينة هادر حتى أن صرخة ياسين

المحذرة لم تصل مسامعها ..

كل ما استطاعت إدراكه لحظتها أن اندفاع المياه القوي كان شديدا بدرجة لم تسطع تحملها واختل ثبات قدمها على الحافة الطينية للقناة التي تحمل الماء المندفع لمساره المحدد ..

سقطت .. وكان سقوطا مدويا بحق ..ما كادت تسقط حتى وجدت يدا قوية تنتشلها من ذاك العمق المظلم الذي غاصت فيه لثوان ..

شهقت وهي تجد نفسها بين ذراعي ياسين يربت على ظهرها محاولا تخليص رئتيها من بعض الماء الذي تخللهما

صرخ لتسمعه:"هل أنتِ بخير ؟"

أومأت موافقة وهي تسعل محاولة التنفس بعمق..

أسندها حتى شجرة السدر لتلتقط أنفاسها وهي تستند على ساقها القوية .. بدأت ترتجف فخلع سترته يضعها على كتفيها ليدثرها بها ..

أكد بحسم:"علينا العودة و فورا حتى لا تتعرضي لنوبة برد"

تلفت حوله فلم يجد إلا أحد الحمير الذي يأكل في هدوء

دون أن يعطي وجودهما أدنى اهتمام ..

فك ياسين وثاقه و عاد به إليها .. صرخت عندما رأته

فقال مطمئنا بابتسامة:"لا تخافي .. ليس كل الحمير

كجحش صالح "

أمسك كفها واقترب بها من الحمار ودفعها برفق فوقه، ظلت

تشعر بالرعب للحظات حتى استقرت فوق ظهره وبدأ يسير بها

الهوينى.. بدأت تهدأ قليلا عندما اعتادت حركة الحمار

الرتيبة وخطر ببالها خاطر كاد يجعلها تنفجر ضاحكة

وهي ترى ياسين يجذب لجام الحمار خلفه بهذا الشكل .. ما

أروع المنظر والشمس تميل قليلا للغروب وهي بدلا من أن

يحملها فارس الأحلام على حصانه الأبيض ويعدو محاولا

إنقاذها .. يجر الآن المدعو زوجها حمارا يحملها عليه في

محاولة أيضا لإنقاذها ... ابتسمت ساخرة هامسة:

"الأهم أن الحصان والحمار كلاهما أبيض وآه لو فكر ياسين أن يركب معي ذاك الحمار المسكين"

أمسكت ضحكاتها وهي تتخيل الحمار يئن ظلما وأخيرا يبرك ارضا قوائمه الأربعة تتمدد باستقامة من ثقل ياسين بالإضافة لثقلها ..

انتبه ياسين فسأل مستفسرًا:"هل أنتِ بخير ؟!

لقد اقتربنا كثيرا "

أومأت موافقة وقد غابت ابتسامتها وهي تتساءل بجدية الآن كل هذه الخواطر حول هذا الذي يمسك لجام الحمار الآن ولكن هل أستطيع الإجابة على أهمها؟

هل زوجي هو فارس الأحلام؟!

****

تمددت كالمتخشبة على ذاك الفراش المعدني العالى في تلك الحجرة التي جهزتها عمته لتضمهما بعد تناولهما العشاء كانت حالها من التخبط والإحراج كفيلة بجعلها تخرج

مسرعة وتخبر عمته بطبيعة علاقتهما و ليكن ما يكون.. لكنها تداركت نفسها وهو يؤكد لها أن كل شيء سيكون على ما يرام وترك لها ذاك الفراش الواسع وتوجه هو بكل نبل لتلك الأريكة الضيقة التي تقطن في الجانب الآخر من الغرفة وأولاها ظهره ليغط في نوم عميق هكذا اعتقدت وخاصة عندما تناهى لمسامعها صوت غطيطه العميق وهو لم يكن كذلك .. فقط هو حاول أن يدّعي النوم رغبة في أشعارها بالراحة وعدم التوتر لوجوده معها في نفس الغرفة .. لكن ما لم لبث أن داعب النوم جفونه بالفعل ليغط في نوم عميق ..

تنفست الصعداء وبدأ النوم يداعب جفونها وبدأت بالفعل في الاستسلام له لكن .. كان الناموس لها بالمرصاد واحتفل تلك الليلة بتذوق دم جديد على الرغم من ذاك الجلباب الذي أهدته لها عمته والذي بالطبع يفوقها طولا وعرضا والذى أصبحت فيه أشبه بطفلة ترتدي جلباب أمها أمام المرأة

لتجربته والذي يغطيها كليا الآن كغطاء كامل لكن برغم كل ذلك لم تسلم من لدغات الناموس وتحليقه المستمر فوق رأسها .. تنهدت بعد ان ضاع النوم و فارق جفونها و شعرت برغبة شديدة في الهروب من تلك الغرفة التي شعرت بأنها تضيق عليها بما تحوي خاصة ذاك الناعس هناك في سكينة واغتاظت .. لما لم يعرف الناموس الأحمق له طريقا مثلا عرف طريقها؟! و لم لا يؤرقه وينغص عليه نومه كما يفعل معها؟!

و يبدو أن نومه الهانئ ذاك لم يسعد به طويلا فما هي إلا لحظات حتى حاول الاستدارة بجسده الضخم على تلك الأريكة الضيقة فما كان منه إلا السقوط أرضا والذي جعل كلاهما ينتفض للمفاجأة وما هي إلا ثوان حتى غطت وجهها وبدأت في الضحك بشكل هستيري على مظهره في جلبابه الريفي الواسع الذي نفضه في غيظ وعاد من جديد يتمدد على تلك الأريكة الحمقاء رغبة في زيارة النوم

لجفونه من جديد بعد أن أطلق نحوها نظرة تحمل قدر لا يستهان به من الغيظ جعلتها تبتلع رغما عنها ضحكاتها التي لم تنته بعد ..

دقائق فقط و بدأ النوم يتسلل لجفونه من جديد وعلا صوت الغطيط فبدأت هي تتحرك بحذر لحافة فراشها حتى تتبين ما يحدث لتجد رأسه ينحرف بميل عن الوسادة في وضع يجعله يصدر صوت شخير عال ..

نزلت من على الفراش بصعوبة لارتفاعه واقتربت في حذر وانحنت بعفوية تحاول أن تعدل من وضع رأسه على الوسادة حتى تسلم من صوت شخيره الذي بدأ يصم الآذان .. يكفيها احتفال الناموس عليها حتى يصبح صوت شخيره العالي منغص آخر يمنعها النوم .. وضعت بالفعل كفيها حول وجهه تحاول تعديل وضع رأسه على الوسادة لكنه انتفض فجأة واصطدمت جبهته بجبينها ..

صرخ كل منهما متألماً ..

كان هو أول من تكلم متعجباً:"أنا قلت أن هذه الليلة لن تمر بسلام أبدا!!..ماذا يحدث هنا؟ما الذي أتى بكِ لأريكتي؟

كانت تفرك جبينها صارخة:"كنت أُعدل من وضع رأسك على الوسادة لإخراس صوت غطيطك الذي أفقدني صوابي أما يكفيني الناموس وتلك الوليمة التي يقيمها على امتصاص دمائي"

أدرك الوضع فأومأ متفهما ولم يعقب ..

استكملت متنهدة:"يمكن لنا أن نتبادل الأماكن ربما يمكننى النوم هنا وأمكنك أنت النوم على ذلك الفراش الواسع و الاستمتاع بصحبة الناموس"

ابتسم أخيرا:"اقتراح راائع " ونهض مسرعا واندفع يحتضن طيات الفراش الواسع في فرحة غامرة وتركها تنعم بتلك الأريكة الحمقاء ..

تمددت لعلها تستطيع النوم ولو لبضع دقائق وغفت بالفعل لكن .. صوت ارتطام قوي أيقظهما معا في نفس اللحظة ..

كان صوت سقوطها هي هذه المرة متعرقلة في نومها بجلباب العمة الواسع .. لم يتمالك ياسين نفسه من الانفجار ضاحكاً على مظهرها المزري وهي تتشاجر مع أطراف الجلباب المزكرشة حتى تخلص قدمها من تشابكاتها .. كان دورها لتخرس ضحكاته بنظرات غاضبة كادت تقتله حقدا على استطاعته النوم دونها ..

يا إلهي إنها تموت شوقاً لغفوة قصيرة دون إزعاج .. هل هذا كثير ؟!

تنهد هو مشفقا عليها وهو يراها تكاد تنام واقفة مثل الخيل من شدة الإعياء ..

نهض من الفراش وبدأ في جذب الشرشف من عليه وفتح خزينة الملابس ليتناول بعض الشراشف الأخرى ويبدأ في ربطها سويا و أخيرا ينثرها فوق الأعمدة المتوسطة الطول للسرير المعدني لتصبح أشبه بالغلالة التي تغطي الفراش كله وأخيرا أشار إليها ..

"هيا ادخلي قبل أن سيبقكِ الناموس للداخل"

اندفعت في سرعة جعلته يقهقه و هي تدخل أسفل تلك الغلالة من الشراشف ..

وفجأة سمعت صوت الباب يُفتح ..فأخرجت رأسها في حذر من خلف أحد الشراشف وهي تهتف في تعجب:"إلى أين تظن نفسك ذاهبا؟!"

ابتسم وهو يستدير ليحدثها:"سأذهب لأنام بجوار صالح "

سألت مستفسرة:"و ماذا إن اكتشفت عمتك أنك نمت هناك تقريبا الليل بطوله ؟"

قرر مشاكستها:"سأخبرها أني هربت من صوت غطيطك العالي كالعادة "

هتفت معترضة:"صوت غطيطي أنا؟"

صرخ مغيظا إياها:"نعم أنتِ .. فليكذبني أحد"

ضغطت بغيظ على أسنانها وهي تلقب بأحد الوسائد باتجاهه

هاتفة:"اذهب و اخبر الجميع إذا أردت هذا شأنك"

ابتسم وهو يتلقى الوسادة ويلقي بها جانبا على الأريكة دون أن تصيبه:"سأخبر عمتي أن صالح استدعاني للنوم بجواره ليلا وبالتأكيد لبيت دعوته كما كنت أفعل دوما"

تسمرت نظراتها عليه ولم تعقب ليهتف هو بلهجة مشاكسة:

"ادخلي خيمتكِ .. فالناموس قادم "

اندفعت هي مصدقة ادعاءه لأسفل الشراشف التي تشبه الخيمة بالفعل لتسمع ضحكاته التي يحاول كتمانها وهو يخرج من الباب ويوصده خلفه في هدوء ليتركها تجول ببصرها في أنحاء تلك الخيمة وتبتسم لذكرى بعيدة كانت لها وأختها سماح عندما كانتا تصنع كل منهما خيمة تشبه هذه وتسميها بيتها وتدع كل منهما أنها جارة الأخرى وتضايفها في بيتها لتقدم لها الشاي والمأكولات في تلك الأدوات القديمة التي ما عادت أمهما تستخدمها في المطبخ فتركتها لتجعلها هي و أختها وسيلة للعبهما ..

دمعت عيناها للذكرى وتمددت تحت الخيمة

وبدأت تغط في نوم عميق أخيرا .

****

شهقت مذعورة بعد أن أخرجت رأسها من تحت خيمتها وهي تتمطى بكسل عندما طالعتها الساعة على شاشة جوالها .. لقد شارفت على الحادية عشرة .. هل تأخرت في النوم لهذه الدرجة؟!

نهضت في عجالة ودخلت الحمام الملاصق للغرفة وعادت ترتدي ملابسها وتندفع للأسفل..

كادت تصدم بياسين وهي تهبط الدرج فتمهلها هاتفاً:"لم هذه العجلة ؟!"

هتفت:"لقد تأخرت في النوم جدا وكان علينا التحرك للرحيل منذ الصباح الباكر "

حدثها مطمئنا:"لا عليكِ.. فعمتي لن تجعلنا نتحرك قبل تناول الغذاء على أية حال"

تنهدت براحة وبدأت تهبط الدرج في تؤدة، هبط هو خلفها

حتى وصلا لمكان العمة التي كانت تصب الشاي في الأكواب لتبتسم ما إن طالعها وجه مي:"صباح الخير والسعادة .. يبدو أنكِ نمتِ بعمق"

ابتسمت مي مجاملة:"آه .. جدا!!"

همس ياسين بجوار أذنها:"عليكِ شكر أحدهم على ذلك"

نظرت إليه ولم تعقب .. وقد اعتلى الخجل وجنتيها لأنها لاحظت أن العمة أدركت همسات ياسين لها .. بالتأكيد تعتقد أنه يسمعها كلمات الحب والغرام لا أنه يمن عليها بما فعله لأجلها...

تناول ياسين كوب الشاي واندفع باتجاه صالح وهو يشير لعمته بإشارة خفية ما وهو يبتعد ..

قدمت هناء طبق مليء بالمخبوزات الريفية الطازجة رائحته تفتح الشهية على الفور مع كوب الشاي ..

تناولتها مي في امتنان وبدأت في التهامها باستمتاع شديد إلا أنها غصّت بإحدى اللقيمات حين ابتدرتها العمة هامسة:

"لقد أطلعني ياسين على حقيقة ما بينكما"

سعلت مي عدة مرات حتى استطاعت أخيرا التقاط أنفاسها

في سلاسة أخيرا ..

أومأت برأسها وكأنها تسألها وماذا بعد مما شجع العمة

لتستطرد قائلة:"أنتِ تعرفين أن ياسين بالنسبة لي هو ابني

البكر وأنا لطالما تمنيت له السعادة والهناء مع فتاة يحبها

ويرزقه اللّه منها بالأبناء لأكن جدة لهم"

ابتسمت للحظات ثم غامت عيناها حزنا وهي تقول:

"كنت أظن أن هذا الحلم قد أوشك على التحقق عندما

تزوج ياسين للمرة الأولى بهاجر لكن ...."

لم تستكمل هناء جملتها ولكن مي أومأت متفهمة ودقات

قلبها تتسارع بتوتر.. ابتسمت هناء بشجن:"ياسين تعذب

كثيرا.. تعذب لسنوات طويلة وأنا صراحة أتمنى له حياة

طبيعية وزوجة ...."

لم تسمع مي ما تبقى من حوار هناء كل ما سمعته هو صوت

الماضي الذي بدأ يصدر صداه للمرة الثانية حياً أمامها مع اختلاف الوضع .. الأمس أم حازم واليوم عمة ياسين لكن الجرح أثخن والألم أعمق .. وكل ما استطاعت مي إتيانه هو إيقاف ذاك السيل من الكلمات التي كانت تنساب من فم هناء دون حتى أن تعيها هي.. إذا كانت لم تستطع إتيان رد فعل مناسب في المرة الأولى فهي لن تقف مكتوفة الأيدي في المرة الثانية أبداااا ..

لذا هتفت بصرامة:"رجاءً هذا الموضوع محسوم بالفعل .. ما بيني وبين الدكتور ياسين لا يتعدى علاقة شراكة إجبارية وضعتنا فيها الظروف رغما عنا وما أن تتحسن الأحوال حتى سيتخذ كل منا طريقة في الاتجاه الصالح له وسيجد الدكتور ياسين تلك الزوجة المناسبة التي تهبكِ الأحفاد الذين تتمنين"

واندفعت مبتعدة تتحجج بإجراء بعض المكالمات الضرورية وقد تركت هناء فاغرة فاها من رد فعلها المبالغ فيه!

خرجت مي من الباب الآخر للدار تسير في هدوء باتجاه إحدى الأشجار الضخمة و ما إن ابتعدت عن الأنظار حتى اندفعت تجرى كالممسوسة تختبئ خلف تلك الشجرة وما إن وصلت إليها حتى انخرطت في بكاء عاصف حتى أنها حاولت قد استطاعتها السيطرة على تلك الشهقات التي صاحبته ولم تستطع ..

ذاك الجرح القديم قد انفتح من جديد ولكن هذه المرة هي على يقين أن الجرح لن يندمل أبدا ..

هذه المرة الوضع مختلف، هذه المرة ليس كرامتها ولا كبرياءها ولا حتى قلبها من انجرح .. لكن هذه المرة الأمر يتعلق بروحها ..

إنها تحبه ..شهقت بعنف عندما اعترفت لنفسها أخيرا بذلك الأمر الذي دارته كثيرا وما عاد باستطاعتها إخفاءه في طيات صدرها أكثر من ذلك .. ويا له من وقت قاتل لتقر بمثل ذاك الاعتراف !!

نعم .. إنها تحبه بل إنها لم تحب أحدا غيره .. حتى حازم الذي ظنت أنه حبها الأوحد أضحى سرابا بعد أن واجهته بحقيقته أمام باب شقتها .. شقتهما المشتركة ..

إنها تحبه ويا لقهر روحها وألم قلبها وأنين كرامتها ونحيب كبرياءها ..

أرغمت نفسها على كتمان شهقاتها وكفكفت دموعها بسرعة عندما أتاها صوت صالح يناديها لأجل الغذاء ..

أومأت برأسها وتمالكت نفسها و قبل أن تدخل عليهم دخلت للحمام لتغسل وجهها وتطالعه في المرآة هاتفة:

"أنتِ قوية يا مي.. لا تنسي أنتِ ابنة أبيها .. فقط لا تنظري تجاهه وستصبحين بخير .. وعند العودة للشقة سيكون لنا شأن آخر علينا تصفيته ..

خرجت من الحمام وهي أشد عزما وأكثر صلابة بعد أن دعمت نفسها بما يكفيها لتلك المواجهة على طاولة الطعام قبل أن يكون عليها مواجهته من جديد عند العودة .

الفصل السادس عشر

كانت رحلة العودة رحلة الصمت المطبق.. لم تتفوه بحرف واحد منذ ركبت السيارة جواره ساهمة وغير قادرة على النظر إليه أو التطلع لعينيه التي لاحظت نظراتها المركزة عليها في أكثر من مرة خلال الرحلة.. حتى هو لم يحاول أن يستدرجها لمناقشة أي موضوع أو حتى يسألها عن رأيها في بيت عمته واليوم الذي قضياه هناك.. كان كل منهما يحمل الكثير من الأسئلة ولا إجابات شافية تُريح ..

انتفض كل منهما على صوت رنين جوالها الذي التقطته مسرعة تجيب في لهفة عندما طالعها اسم الحاج حسن يضيء على الشاشة..

"السلام عليكم يا حاج حسن .. ماذا؟!"

صرخت بذعر :"حسنا نحن في الطريق إليك

لا تقلق .. ستكون بخير "

نظر إليها مستفسرًا فما كان منها إلا أنها صرخت تستحثه الإسراع:"اسرع أرجوك .. الحاج حسن ليس بخير، كان يعتقد أننا في الشقة .. صوته غير مطمئن .. اتصل بعوض ولم يجيه "

هتف بقلق وهو يزيد من سرعة سيارته:"سيكون بخير بإذن اللّه"

وصلا أخيرا لبنايتهما واندفع كلاهما للداخل ليستقلا المصعد إلا أن بادرهما عِوَض هاتفاً:"الحاج حسن في المشفى وطلب مني إبلاغكما"

لم ينتظر أي منهما عِوَض ليستكمل حديثه بل عادا أدراجهما للسيارة في عجالة .. لحظات وكانا أمام الاستقبال يسألان عن الحاج حسن ..

أجابت الموظفة:"إنه في غرفة العناية الفائقة"

اندفع كل منهما للبحث عن الطبيب المعالج والوصول إلى حيث يرقد ذاك العجوز الطيب الذي طالما كان حاضرا

في أحلك لحظات حياتهما منذ تعارفهما ..

وقفت هي أمام زجاج غرفة العناية الفائقة وتركت ياسين يتحدث مع الطبيب المعالج .. لم يكن يعنيها الآن ألا أن تراه ويشعر بوجودها جواره ..

كانت إلى هذه اللحظة متماسكة لم تهتز إلى أن رأت ابتسامته الباهتة التي ارتسمت على وجهه المتغضن الشاحب فانحدرت الدموع على خديها رغما عنها .. لوحت له بكفها فلوح بأطراف أصابعه التي استطاع تحريكها..

همست بلا إرادة وكأنها مغيبة:"أبي .. أبي .. لا ترحل من جديد"

لم تكن تعلم أن ياسين يقف خلفها يتابع ذاك المشهد متأثرا لكنه اندهش فها هو الآن يدرك ما لم يكن يعلم له سببا واضحا.. كان دوما يتساءل عن سبب تعلقها الشديد بالحاج حسن والآن وفي هذه اللحظة أدرك تماما مقداره عندها ..

ربت على كتفها مؤازراً إياها وهمس مطمئناً:"سيكون بخير صدقيني، طبيبه المعالج أخبرني أنها أزمة بسيطة وسيكون بخير خلال أيام بإذن اللّه"

هتفت بلهفة:"حقا قال ذلك ؟! هل سيكون بخير ؟!"

أومأ ياسين مؤكدا فعادت هي تنظر من خلال الحائط الزجاجى على جسد الحاج حسن المسجى في سكون يتصل بالكثير من الأنابيب والخراطيم الطبية وهي تدعو له بالشفاء .

****

ربتة خفيفة على كتفها من الممرضة جعلت مي تنتفض بذعر:"ماذا هناك ؟! هل هو بخير ؟!"

هدأتها الممرضة وهي تتلفت حولها خوفا من أن ينتبه إليها أحد وهي تهمس لمي بحذر:"نعم هو بخير ..ألست الدكتورة مي ابنته ..هو يريد أن يراكِ .. لكن لا تطيلي البقاء لأن هذا سيعرضني للمشاكل"

أومأت مي إيجابا وهي تمسح وجهها بكفيها وتستدعي ابتسامة جاهدت لرسمها على شفتيها قبل أن تدلف للغرفة بحذر و تقترب من فراشه .. ما إن شعر بوجودها حتى فتح جفونه المرهقة بشحوب:"كيف كانت رحلتكِ؟! أرجو أن تكون سعيدة كما تمنيت"

أومأت مؤكدة:"آه .. سعيدة جدا!!" صمتت قليلا قبل أن تقول متأثرة:"قلقنا عليك كثيرا وخاصة عندما عدنا وأخبرنا عِوَض بما حدث "

"أنا بخير ..وفي انتظار وليمة من يدكِ عند خروجي سالما بإذن اللّه" ابتسم محاولا إشعارها بأنه على خير ما يرام ..صمت كلاهما للحظات إلا أنه طلب منها الاقتراب .. اقتربت بالفعل وجلست على حافة فراشه فقال بصوت واهن لم يستطع أن يكسوه بالمرح كعادته:"مي يا ابنتي "

أجابت بنبرة محتقنة تأثرا للفظة ابنتي:"نعم"

همس:"عيشي يا مي .. لا تجعلي الماضي يجذبكِ لخيباته من جديد ..ما كان قد كان .. أمامكِ حاضر يناديكِ

وأنتِ تصمّين أذنيكِ عن سماع نداءاته ..انتزعي فرحتكِ وسعادتكِ بيديكِ لا تنتظري أن تكون سعادتكِ منحة يقدمها أحدهم .. إن السعادة والراحة هي حقكِ بعد كل معاناتكِ .. أنتِ تستحقيها وبجدارة "

و أشار بكفه إشارة خفيفة أدركتها هي لتنظر حيث أشار لتجد ياسين يقف يتابعهما خلف الجدار الزجاجي ..

دمعت عيناها .. كانت تتمنى أن يكون بخير الآن لتخبره بكل ما حدث وكل ما قالته عمته .. تخبره باعتراف قلبها وشقاء روحها لذاك الاعتراف .. تخبره أنها تريد السعادة بل تتمنى قربها لكن يبدو أن السعادة لها رأي آخر ..

كم هي بحاجته .. وكم تحتاج لمشورته ورأيه السديد، كم تحتاج لمن ينير بصيرتها في عتمة المعاناة التي تعيشها الآن !

ربّت الحاج حسن على ظاهر كفها وهو يؤكد عليها:

"ستكون السعادة من نصيبكِ أنا أعلم ذلك ..

هيا اخرجي قبل أن يتنبه أحدهم"

أومأت موافقة ونهضت في تثاقل باتجاه الباب ونظراتها لم تفارق محياه وما إن همت بفتح الباب قال:"عند خروجكِ ارسلي لي السعادة".. وغمز بعينيه مشاكساً فابتسمت بحبور وقد أدركت أنه بإشارته للسعادة كان يقصد ياسين الذي كان لايزال منتصبا خلف الجدار الزجاجي يتابعهما في اهتمام وفضول.

****

فتح ياسين باب الشقة مسرعا بعد أن سبق كل من مي تسندها الدكتورة نادية صديقتها ليفتح الباب على مصراعيه .. وقفت مي متسمرة للحظات وهي تخرج من باب المصعد بصحبة صديقتها وتلقي نظرة حزينة مطولة على باب الحاج حسن رحمه اللّه ..

أسبوع قد مر منذ وفاته وهي لم تحتمل صدمة رحيله .. سقطت بين ذراعي ياسين في المشفى لتنتقل لعالم آخر

من اللاوعي .. أسبوع كامل لا تدري ما يحدث حولها تعاقب على خدمتها الجميع .. نادية وياسين و حتى أختها سماح تركت أطفالها في عهدة زوجها وأتت .. كانت تراهم كأطياف غير حقيقية عندما كانت تستفيق للحظات من لاوعيها الجميل .. ذاك اللاوعي الذي قابلت فيه كل من كانت بشوق إليهم.. أبيها وأمها و لحاج حسن أبيها الثاني.. دمعت عيناها وتحركت في وهن باتجاه باب شقتها وهي لا تحتمل النظر مرة أخرى باتجاه شقة الحاج حسن الخالية منه والتي تعرف أنه لن يخرج إليها إذا ما دقت بابه ..

سارت لحجرتها وجلست على طرف فراشها وهي تهمس لنادية:

"أتعبتك كثيرا وأخذتكِ من بيتك وأولادك ..

أنا بخير الآن "

هتف ياسين محاولا ترطيب الأجواء الحزينة بنبرة مازحة:

" وأنا هنا أيضا فلا قلق على الإطلاق .. فأنا طبيب بالمناسبة"

ابتسمت نادية بينما ظلت مي ساهمة:

"بالطبع يا دكتور ياسين"

همست مي مجددا وهي تدفع صديقتها للخارج:"هيا يا نادية .. عودي لبيتكِ وحياتكِ التي انقلبت رأسا على عقب الأسبوع الماضي كله بسببي"

ضحكت نادية:"حسنا.. لا داع لطردى سأرحل إذا كان هذا سيرضيكِ" فتحت نادية باب الشقة مازحة:"لكني سأعود وسأحضر الأولاد معي ووقتها لن تستطيعي التخلص منا بسهولة"

هتف ياسين من خلفهما مازحاً:"رجاءً احضريهم فأنا أعشق الأطفال سنلهو حتى نسقط إنهاكاً.. ستكون خطة رائعة لنجعل مي تهرب من الشقة طالبة العفو والسماح"

انفجرت نادية ضاحكة بينما حاولت مي رسم ابتسامة مجاملة على مزاحهما البريء .. هو بريء بالفعل لكن المشكلة لديها هي .. وهي تعلم ذلك .. ما إن أتى على ذكر الأطفال وعشقه لهم حتى تداعى أمام ناظريها لهوه

مع أولاد أختها وكذلك أولاد نادية عندما قابلهم في إحدى المرات التي أتت بهم إليها وأخيرا صالح واهتمامه وحبه له .. كل هذا جعلها تدرك أنه فعلا يعشق الأطفال وكلام عمته بأنها ترغب له في حياة مستقرة وأطفال كثر يكونوا لها أحفادا ..

انتفضت مي لتخرج من خواطرها الموجعة عندما انحنت نادية لتقبلها قبل أن تفتح الباب وترحل باتجاه المصعد الذي ما إن وصل لطابقهما حتى خرج منه رجل أشيب ذو حلة رمادية وحقيبة عملية يتطلع حوله حتى وقع ناظريه على باب شقة مي وياسين الذي كان ياسين يهم بإغلاقه فهتف يستمهله:"من فضلك.. هل هذه شقة الدكتورة مي الرفاعي؟"

تطلع به ياسين متعجباً وهي تقف خلفه لا تدرك ما هناك حتى أجاب ياسين:"نعم هي .. هل من خدمة؟"

أومأ الرجل:"نعم.. أنا أريد مقابلتها رجاءً "

خرجت مي من خلف ياسين هاتفة:"أنا الدكتورة مي ..

ماذا هناك ؟"

هتف الرجل:"أنا محام الحاج حسن الصواف مالك هذه الشقة"

وأشار لباب شقة الحاج حسن رحمه اللّه "فهل يمكنني

الجلوس معكِ لأمر هام؟ والرجاء إحضار تحقيق للشخصية

حتى أتاكد أنكِ هي"

نظرت مي لياسين متعجبة فهتف ياسين وقد اتخذ القرار

نيابة عنها وهو يفسح المجال للرجل حتى يدخل ويجلس في

وسط الردهة تماما ولا يضيع الوقت حتى يضع حقيبته التي

كان يحملها فوق الطاولة ويفتحها في اللحظة التي جلس

فيها ياسين و مى متعجبين ..

قال الرجل آمرا وهو يوجه حديثه لمي:"هل يمكننا البقاء

بمفردنا؟"

هتف ياسين بغيظ:"بالطبع لا .. لن أدع زوجتي مع رجل غريب

لا أعرف من هو من الأساس .. احمد اللّه أنني سمحت لكِ

بالدخول والجلوس معها في وجودي "

وكأن ما قاله ياسين لم يأت على هوى الرجل فقال لمي:

"هل أنتِ موافقة على بقائه؟"

هتف ياسين بحنق بالغ:"اللهم طولك يا روح ..

ألا تفهم؟! أنا زوجها "

هتفت مي لتنهي الخلاف:"نعم أنا موافقة .. فهو زوجى كما

أخبرك "

هتف الرجل بلامبالاة:"حسنا .. طالما انت موافقة .. لا بأس ..

فهى اسرار العملاء و على الحفاظ عليها ..

هتفت مي:"أسرار! أي أسرار ؟!"

قال الرجل:"أنا محام الحاج حسن الصواف رحمه اللّه"

هتف ياسين ساخراً:"سبق أن عرفت نفسك تشرفنا وماذا بعد؟"

أخرج المحامي عدة أوراق من حقيبته وقدمها لمي مع قلم آمرا

"الرجاء وضع توقيعكِ الكريم على هذه الأوراق"

هتف كل من مي و ياسين في صوت واحد:"أي أوراق؟!"

هتف المحام بنفاذ صبر:"أوراق نقل ملكية شقة الحاج حسن الصواف رحمه اللّه للمدعوة مي الرفاعي..

ألست هي ؟!"

الفصل السابع عشر

كم كانت مفاجأة مدوية تلك التي رتبها لها الحاج حسن بعد رحيله! لقد نقل ملكية شقته لها ..لكن لِمَ فعل ذلك؟ أخبرها المحام السمج ذاك الذي كاد يفقد ياسين صوابه أنه وحيد لا أقرباء أو ورثة له من أي درجة وكان يعتبرها كابنته فقرر أن يورثها شقته أما كل ما تبقى مما يملك فقد تبرع به للأطفال الأيتام والمرضى ..

همست متنهدة بحزن و هي تتذكر تلك الصدمة التي شملتهما هي وياسين عندما أمرها المحام بتوقيع أوراق الملكية .. كادت تفقد وعيها حرفيا و فغر ياسين فاه للحظات حتى استوعبا الأمر .. آه يا حاج حسن .. لطالما كنت ذاك الأب الذي فقدته وحتى بعد وفاتك لازلت ذاك الأب الذي كنت أحتاج .. هي حتى الآن لم تدرك الحكمة

من أن يهبها الحاج حسن شقته ..

لا تدرك لِمَ فكر بذلك من الأساس ؟!

لكنه على أية حال قد حل لها مشكلة كانت ستواجهها منذ عودتها من زيارة عمة ياسين فقد قررت أن بقاءها وإياه أصبح غير مطلوب ولا مرغوب من ناحية عمته التي تراها غير مناسبة لتلك الخطط التي تضعها لمستقبل بن أخيها، ابنها البكر كما تدعوه دوما ..

كما أن بقاءها بجواره سيضيف على عذابها المزيد من العذاب عليها الرحيل حتى ولو لم يكن هذا الرحيل بعيدا عنه بقدر ما يجب لكنه بعيد قدر استطاعتها ..

ستنتقل لشقة الحاج حسن .. لقد قررت ذلك منذ استعادت رشدها وبدأت التفكير في تلك الشقة كملك لها فعلا ولها مطلق الحرية في التصرف فيها وها هي تفعل ..

انتظرت حتى سمعت صوت باب الشقة يقفل إيذانا بخروجه وتنفست بعمق في محاولة لتشجيع نفسها للمضى فيما قررته

والعمل على تنفيذه ..

فتحت باب حجرتها وبدأت في سحب تلك الحقائب التي أعدتها للرحيل في سرية تامة ..

فتحت باب الشقة واتجهت لشقة الحاج حسن وفتحتها وهي تسمى الله فتحت الباب وأدخلت الحقائب وعادت لشقة ياسين تضع ورقة مطوية على تلك الطاولة بجوار الباب وأخيرا خرجت وهي تلقي بنظرة أخيرة على تلك الشقة التي لها معزة خاصة في نفسها ..

أغلقتها في سرعة لإنهاء تلك اللحظات المؤلمة واندفعت تدخل شقة الحاج حسن .. شقتها الآن وتغلق بابها خلفها تتطلع إلى جوانبها المظلمة وعيونها تدمع تأثرا ودعاء يتردد في جوف صدرها لصاحبها .. هي لم تدخل تلك الشقة إلا مرة واحدة عندما أصر الحاج حسن على إعداد الإفطار يوم عقد قرانها على ياسين ..

ضغطت أصابعها على زر الإضاءة و توجهت للردهة

وأضاءت جميع الأنوار .. الشقة لا تختلف كثيرا عن شقتها المقابلة غير أنها لاتزال تشعر بالرهبة والوحدة فيها .. قررت أن تلقي بكل مشاعرها الآن خلف ظهرها وتبدأ في إحياء الشقة لتصبح صالحة للعيش فيها من جديد ..على الرغم من أن الحاج حسن لم يكن يهمل نظافتها وكانت تأتيه تلك السيدة المدعوة أم سالم لتقوم على نظافتها .. بدأت في فتح النوافذ حتى يدخل الهواء النقي وجالت في أنحاء الشقة لتستأنس بها وتألف أركانها ..

ستعمل على نقل معداتها وأدوات عيادتها لهذه الحجرات لتبدأ في العمل من هنا كما كانت مقررة في الشقة السابقة ..

ستجعل الشقة مكانا للسكن والعمل معا ..

استغرقها العمل على تنظيم وتنظيف الشقة من جديد وأخيرا دخلت غرفة النوم .. خطت داخلها برهبة وكأنها ترى طيف الحاج حسن في كل ركن .. بدأت في التنظيف وما إن وقعت نظراتها على الطاولة الصغيرة جوار الفراش حتى لفت

انتباهها ظرف موضوع أسفل لمبة الإضاءة الليلة على تلك الطاولة ..

تناولتها بوجل وفتحت الظرف الذي وجدت على جانبه الآخر كلمات بخط الحاج حسن المنمق "إلى ابنتي العزيزة ..مي "

أخرجت ورقة مطوية فضتها بتردد وضربات قلبها تتسارع وبدأت الدموع تلمع بمآقيها حتى انحدرت على خديها ..

جففت عيونها حتى تستطيع قراءة السطور التي تهتز أمامها الآن .. وبدأت في القراءة ..

"مي .. عند قراءتك لهذه السطور سأكون أنا في عالم آخر مختلف عن عالمكم .. سأكون في رحاب اللّه حيث الحق والراحة والنعيم بإذنه ..

اعلمي أنني تركت لكِ تلك الشقة وهي أعز ما أملك، تركتها كأنما أتركها لابنتي التي لم يرزقني اللّه أعز منها أعرف أنكِ تتساءلين الآن .. لِمَ تركت تلك الشقة لكِ وهل في هذا صالحكِ ؟!

نعم .. تركتها حتى تتخلصي من القيد الذي قد يربطكِ بياسين .. تركتها حتى تكوني حرة في اتخاذ قراركِ بإنهاء علاقتكما أو استمرارها دون أي ضغوط من أي نوع .. تركتها حتى تبتعدي قليلا حتى تقرري .. هل أصبح ياسين جزءا لا يمكنكِ الاستغناء عنه في حياتكِ بعيدا عن الشقة التي تربطكما أم أن الشقة هي الأساس في تقاربكما؟! تركتها لكِ حتى يدرك هو أيضا كل تلك الأمور ويبدأ في التفكير بعقلانية بعيدا عن تأثير بقاء كل منكما في مجال الآخر ..

ابنتي ..دعواتي لكِ دوما بالراحة والسعادة .. ولا تنسيني من دعائكِ وارسلي لي الرحمات دوما .. حتى تظلي عملي الذي لم ينقطع من الدنيا .. فأنتِ الولد الصالح الذي سيظل يدعو لي ..

استودعتك اللّه الذي لا تضيع عنده الودائع ..

أبوكِ .. حسن الصراف "

ضمت مي الخطاب لصدرها وانهارت باكية على أطراف الفراش ..لا تعلم كم ظلت تبكي وتترحم على ذلك الرجل الطيب الذي عوضها اللّه برحمته عن غياب أبيها في حياتها وافتقادها إياه ..

انتفضت تمسح دموعها عندما علا صوت رنين جرس الباب وتلك الطرقات والتي لا تعرف منذ متى تتعالى ولم تسمعها..

اندفعت تفتح الباب بلا تفكير حتى طالعتها صورة ياسين أمامها تسد عليها مداخل الضوء والهواء ..

صرخت تخرج كل غضبها في هتافها:"ماذا هنااك؟"

انتفض في وجهها راغبا في إغاظتها:"سلام قول من رب رحيم"

تنفس بعمق مدّعيا الذعر وأخيرا هتف:"مرحبا يا أم سالم ادخلي وارسلي لي الدكتورة مي لأمر هام"

كزت على أسنانها غيظا .. أيشبهها الآن بأم سالم؟!

تلك السيدة متوسطة العمر والتي كانت تأتي للحاج حسن كل فترة لتنظف له الشقة وتقوم على خدمته

وإعداد بعض المأكولات له قبل أن تأتي مي

وتقوم بهذا الدور معظم أيام الشهر التي تغيب فيها تلك

السيدة الطيبة ..

وضعت كفها على رأسها بنفاذ صبر لتكتشف وجود ذاك

المنديل الذي تعقفه على جبينها كفلاحين فيلم الأرض

ووجهها الذي أصبح كلوحة فنية من الغبار بتلك الآثار

التي ترتسم عليه في عدة مناطق متفرقة والتي تحولت إلى

آثار طينية من أثر الدموع التي حاولت مسحها قبل فتحها

الباب لتزيد الطين بلة.

ألقت نظرة جانبية على مظهرها العام في تلك المرآة

الحائطية التي توازي مكان وقوفها لتؤكد في نفسها .. هو

لم يخطئ .. أنا بالفعل أشبه أم سالم، كادت تبتسم رغما عنها

دوما ما يستطيع نزع ضحكاتها من قلب دموعها .. هكذا

فكرت وهي تتطلع إليه راغبة في معرفة سبب مجيئه إلى

بابها ..

هتفت متصنعة الضجر:"دكتور ياسين .. لا وقت لدي لمزاحك .. ما الذي أتى بك يا ترى؟!"

هتف ساخراً وهو يبرز بوجهها تلك الورقة التي تركتها عند مغادرتها:"هذه.. هل هكذا تتركين شقتكِ دون إذن من زوجكِ ؟!"

همست محاولة تمالك أعصابها:"دكتور ياسين .. لقد أعلمتك برحيلي بالطريقة التي رأيت أنها أفضل للجميع .. كما يجب أن تعرف أن ما كان يربطنا أصبح من السهل إنهاؤه"

همس متسائلا:"وشقتكِ؟! و أدواتكِ وأجهزتكِ؟!"

أكدت بصرامة:"الشقة لنا فيها حديث آخر .. أما أجهزتي فسأرسل الفنيين لنقلها إلى هنا حيث سأبدأ في العمل بإذن اللّه "

قال بنبرة حانقة:"لقد رتبتِ كل شيء .. دوما بارعة، قادرة ومستقلة "

نظرت إليه بلا تعليق ليمزق هو جواب إخطارها إياه برحيلها ويندفع من أمامها لشقته التي دفع بابها في حنق حتى اصطدم بالحائط وقبل أن يهم بإغلاقه هتف صارخاً:

"أرجوكِ أضيفي صفة هامة جدااا لصفاتك الأسطورية .. أنكِ حمقاااء "

وأغلق الباب بعنف مستعيرا عادتها لتنتفض هي مع صفق الباب بهذه القوة وتعود للداخل وهي متعجبة من رد فعله وهي تتساءل بتعجب .. لِمَ نعتها بالحمقاء ؟!

****

لم يعد باستطاعتها تحمل المزيد .. إنه سيدفع بها لا لترك الشقة محل نزاعهما بل ستترك له البناية بأكملها وتهرب .. كم من المرات طرق بابها بأسباب واهية متحججا مرة بنقص الملح ومرة بعدم وجود السكر ومرة بعض الشاي ومرة رغبته في معرفة كيفية صنع صينية البطاطس ومرة ومرة ... بل مئات المرات .. وفي كل مرة تفتح الباب يطالعها

بابتسامته المغيظة تلك ونداءه المقيت ذاك (جارتي العزيزة) الذي لا ينفك يردده في كل مرة ومع كل طلب سخيف ..

دق الآن جرس الباب لتندفع هائجة تقسم أن تقتله .. لقد أفقدها صوابها بالفعل.. فتحت الباب بعنف صارخة:

"الرحمممة! هذا يكفي .. أقسم ...."

قاطعها ياسين مبتسما بهدوء:"الفنّيون هنا وكانوا يسألون عنكِ من أجل أجهزتكِ .. يااجارتي العزيزة "

ضمت قبضتيها في غيظ وودت لو أتيحت لها الفرصة لتلكم وجهه بإحدى قبضتيها لكنها نظرت خلفه لتجد الفنّيين يقفون بالباب بنفاذ صبر لبدء عملهم ..

تناولت مفتاح شقتها وخرجت مغلقة بابها ودخلت شقة ياسين يتبعها الفنّيون وهو معهم .. أشارت لبعض الأجهزة فبدأوا العمل بها وما إن انتهوا حتى طلبوا مكان نقلها الجديد فاندفعت تفتح باب شقتها وتشير إليهم أين يمكنهم إعادة

تركيبها ..

نقل الفنيون الأجهزة لشقتها وهو تبعهم ..

نظرت له مستفسرة:"شكرا لك دكتور ياسين.. لن نعطلك أكثر من هذا .. يمكنك العودة لشقتك و ...."

هتف بنبرة صارمة:"لن أعود لأي مكان حتى ينتهي الفنّيون من عملهم .. لن أدعكِ وحدكِ حتى يرحلوا"

هتفت معترضة:"لكن ....."

هتف معترضاً بدوره:"ليس هناك لكن .. انتهى ..سأرحل عندما يرحلون وبالمناسبة .. عيادتك اجعليها للنساء فقط"

صرخت الآن معترضة بشدة:"ليس من شأنك بالمناسبة .. أنا أعالج المرضى أيّ كانوا ولن أنال أي أوامر منك بهذا الشأن"

نظر إليها نظرة مطولة قبل أن يقول بنبرة هادئة:حسنا .. دعي أي رجل يدخل هنا وصدقيني .. سأكون أول من يعرف ممّ يعاني لأجعل له الألم مضاعفا .. وبدلا من أن يخرج هنا بعد جلسة علاج طبيعي وقد عادت عظامه لوضعها .. سيخرج

هو وعظامه كلها مفككة"

كزّت على أسنانها غيظا وحنقا وأخيرا هتفت من بين أسنانها:

"إذن لا تتعامل مع النساء بالمثل ..إذا كان الأمر كذلك"

انفجر ضاحكاً:"حااضر .. إذا ما حدث و بدأ الرجال في حمل

ووضع الأطفال سأفعل بكل سرور ..وحتى هذه اللحظة

التاريخية لن أستطيع التعامل إلا مع النساء أما أنتِ

فبإمكانك التعامل مع أي من كان .. والأفضل طبعا النساء،

لا رجال بعد اليوم .. مفهوم يا جارتي العزيزة؟!"

كادت تصرخ معترضة إلا أن الفنّيين انتهوا من عملهم وبدأوا

في الرحيل ليكون هو آخر من يخرج من باب شقتها يلوح لها

بكفه مودعاً وعلى وجهه ابتسامته تلك التي تصيبها

بالجنون .

الفصل الثامن عشر

شهر كامل قد مر منذ أعلنت عن افتتاح عيادتها للعلاج الطبيعي .. وكم كانت كبيرة دهشتها عندما بدأ المرضى في التردد على العيادة حتى أضحت في غضون أسابيع العيادة الأشهر على مستوى المنطقة التي تقطن بها ..

والأعجب أن معظم رواد العيادة من المرضى من النساء والقلة من الرجال كبار السن الذين تخطوا الستين على أقل تقدير ..

ابتسمت في سرها فهي على أي حال لا تريد الاحتكاك بجارها العزيز الذي قلّت مرات ظهوره المعتادة عن السابق مما أشعرها بالراحة وفي نفس الوقت بشعور غريب بدأ يؤرقها ويدفعها هي نفسها لتراه أو تستمع حتى لأخباره ..

نادت نبيلة تلك الممرضة التي عينتها حتى تتولى إدارة

العيادة ومواعيد المرضى وترتيب دخولهم لغرفة الكشف ومواقيت جلسات العلاج ..

دخلت نبيلة بعد أن سمعت جرس الاستدعاء لتسألها مي:

"هل لازال هناك المزيد من المرضى ؟!"

ردت نبيلة:"لا يا دكتورة .. كانت تلك آخر مريضة منتظرة بالخارج "

تنهدت مي:"حسنا .. هيا حتى لا تتأخري في العودة لأولادك وأنا سأتولى باقي الأمور "

ابتسمت نبيلة:"جزاكِ اللّه خيرا يا دكتورة .. سأرحل على الفور "

رحلت نبيلة وأغلقت مي الباب خلفها بإحكام وكذلك الأنوار وعادت لغرفتها ترغب في حمام دافئ يزيل عنها إرهاق اليوم ..

نزلت تحت المياه الدافئة في استمتاع وما هي الا لحظات حتى انقطع التيار الكهربائي لتقف مصدومة لثوان غير قادرة

على التصرف .. وأخيرا خرجت ترتدي مئزرها تتحسس طريقها حتى تجد شمعة تضيء بها تلك العتمة التي تحيطها وفجأة دق باب شقتها فانتفضت صارخة إلا أن صوت ياسين الذي جاء من الخارج هاتفاً

"مي .. هل أنتِ بخير ؟"

وصلت بصعوبة للباب وفتحته ليطالعها ممسكاً كشافا كهربائيا يشع نورا على وجهها جعلها تغلق عينيها فينحرف به بعيدا عن محياها ويكرر سؤاله:"هل أنتِ بخير؟"

هزت رأسها:"نعم .. أنا بخير .. أشكرك"

ناولها الكشاف:"خذي .. اجعليه دوما بجوارك"

تناولته منه ممتنة:"وأنت ؟"

همس مؤكدا:"لا عليكِ .. الظلام لا يقلقني فقد اعتدت عليه وأستطيع التعايش معه .. لطالما عانينا منه في تجوالنا مع تلك المنظمة الصحية التي كنت متطوعا فيها .. لقد أجرينا مئات من العمليات الجراحية على ضوء أقل وهجا من

ضوء شمعة "

همست مبهورة:"حقا؟!!"

فلطالما كان هذا الجزء من حياته مفقودا و لا تعلم عنه شيئا..

ابتسم مجيباً:"نعم .. حقا "

ثم سأل مستفسرًا:"هل ستستطيعين البقاء بمفردكِ في وجود الكشاف أم تفضلين بقائي؟"

قالت محاولة ادعاء الشجاعة:"أنا لا أخاف الظلام"

قهقه دون أن يعلق بكلمة مما شجعها لتستكمل حديثها قائلة:"لكن لا بأس من وجودك بالطبع"

و كمن كان في انتظار تفوهها بتلك الكلمات حتى اندفع داخل شقتها يغلق الباب خلفه ..

و هو يتناول منها الكشاف الضوئي هاتفاً بسعادة:"لا يوجد أجمل من صنع كوب من الشاي وتناوله على ضوء القمر"

شرع في إعداد الشاي بالفعل لتهتف هي ضاحكة:"لكن لا

قمر في السماء الليلة .. إنها نهاية الشهر العربي"

هتف متحسرا:"خسارة .. فالقمر عندما يكون بدرا تكون

ليلة عيد في الصحراء .. وكأن الشمس تشرق في المساء ..

كانت جاكلين تعد لتلك الليلة طقوسا خاصة .."

سألت بفضول متهور:"من جاكلين ؟"

قهقه مفسرا:"طبيبة كندية تعرفت عليها في إحدى القوافل

الطبية التابعة للمنظمة الصحية التي كنت تابعا لها،

كانت مغرمة بحياة الصحراء ورحلات السفاري وليلة اكتمال

القمر بدرا كانت بالنسبة لها عيدا له طقوس خاصة لا

تفوتها مهما كانت الظروف"

شبكت ذراعيها أمام صدرها متسائلة:"يبدو أنك تعرفت على

العديد من ...." كانت تود أن تقول النساء لكنها استدركت

قائلة:"العديد من الشخصيات ومن جنسيات مختلفة"

أومأ وهو يَصْب الشاي في أكوابه التي أعدتها هي:"نعم،

الكثير من الشخصيات والكثير من الجنسيات"

وغمز بعينيه مستكملا:"والكثير من النساء أيضا"

صرخت في نفسها داخليا.. ما الذي جعلها تفتح الباب لذلك الوقح ؟! حسنا.. كان يكفيها أن تأخذ الكشاف وتشكره وتبقى وحيدة يأكلها الغيلان حتى ولا تضطر لصحبته التي تكاد تدفعها لارتكاب جريمة الآن وخاصة وهو يضع كوب الشاي الساخن بين كفيها ويدفعها برفق لتجلس على إحدى المقاعد في الشرفة ولا يكتفى بل يتناول إحدى قطع الملابس المعلقة من على أحد الأحبال المخصصة لنشر ملابسها ويضعها على شعرها المبلل ..

ليهمس وهو يضعها على شعرها بنبرة كادت تفقدها اتزانها وينسكب بعض الشاي على مئزرها:"لقد نسيتِ غطاء رأسكِ، أعتقد هذا سيفي بالغرض"

رفعت نظراتها لتقابل نظراته التي كانت تتفرس في ملامح وجهها الطفولية ونظراتها المضطربة تجاه عينيه .. لحظات مرت وذاك الرابط الروحي العجيب بين نظراتهما لم ينقطع

كان كل منهما يحكي لصاحبه قصة لا يعلمها عن مشاعر مجهولة للآخر لا يدركها إلا صاحبها ..

وفجأة ...

عاد التيار الكهربائى و كأن بعودته انقطع ذاك الرابط وبدأ كل منهما ينتبه لحاله .. ليتنحنح هو بإحراج ويستأذن في عجالة مندفعا خارج شقتها متحصنا بشقته بعيدا عن ذاك السحر الذي أصابه منذ لحظات أمام عينيها .

****

اندفعت نادية بجوار زوجها خالد هاتفة:"ماذا تقول؟! هل جُننت؟"

صاح خالد:"بل أستعيد عقلي الذي أضعتيه أنتِ وصديقتكِ"

صاحت نادية مستفسرة:"ماذا تقصد؟"

قال محاولا ادعاء الهدوء:"كلتاكما وضعتما ما تفتق عنه فكركما الجبار فيما يخص الشقة و ياسين .. لكن لم تفكر إحداكما أين رأيه هو في الموضوع !"

هتفت محتجة:"من قال هذا؟ إن مي تفعل كل ذلك لأجله وقررت ما قررت أيضا من أجله!"

هتف حانقاً:"خطأ .. بل أكبر خطأ وأنا لن أشارك في هذا الخطأ أبدا.. وطالما أنتِ وصديقتكِ تصرفتما بما أملاه عليكما عقليكما حسنا.. أنا أيضا لي رأي في الموضوع"

هتفت نادية بفضول:"ما هو ؟"

أغاظها خالد هاتفاً:"إنه رأي لا يُقال.. بل يُفعل"

****

دق جرس باب شقة ياسين ليفتح فيطالعه عِوَض حاملا ظرف كبير به بعض الأوراق مكتوب عليه ..(خاص .. يسلم للدكتور ياسين).. تسلمه ياسين وأغلق الباب في حيرة من شكل الظرف وما قد يحويه .. فتح الظرف في عجالة وفض الأوراق إحداهما تلو الأخرى وما إن انتهى وطالعته آخر الأوراق حتى هتف في سخط واندفع للشقة المقابلة .. شقة جارته العزيزة التي لم يكن بحاجة ليدق بابها فالباب مفتوح لأن

مواعيد العيادة الرسمية قد حانت ..

ولحسن الحظ لم يأتِ أي من المرضى حتى الآن .. فاندفع إلى داخل غرفة الكشف وأغلق الباب خلفه في عنف جفلت له الممرضة التي نهضت بفزع عند رؤيته لدخوله المباغت ولولا معرفتها بأنه زوج الدكتورة مي لكان لها معه شأن آخر.

****

انتفضت مي بذعر عندما وجدت ياسين على هذه الحالة من الثورة يندفع إلى داخل غرفة الكشف بتلك الهمجية فصرخت بتحدي:"ماذا يحدث؟ كيف ..."

قاطعها هو بأن ألقى الأوراق التي بحوذته على سطح مكتبها وهتف بدوره:"أنتِ من عليه إخباري بما يحدث "

تناولت الأوراق بتردد وألقت عليها نظرة متفحصة قبل أن تتنفس بعمق وتدعي أن لا شيء هام يستدعي كل هذا الحنق الذي يظهر جلياً على وجهه الآن:"ما الذي تحويه تلك الأوراق جعلك بهذه الثورة؟! أنا أتنازل لك عن نصيبي في الشقة

محل النزاع لأنني قررت الرحيل والعودة للعمل خارج مصر من جديد وطالما رحيلي لا يجوز دون موافقة الزوج .. فقد قررت التنازل عن نصيبي في الشقة مقابل طلاقي ، أعتقد أنها صفقة رابحة لكلينا"

هتف ياسين معترضاً:"ومن الذي يقرر ما الرابح بالنسبة لي أنتِ أيضا ؟!"

هتفت مي في محاولة لضبط النفس قدر الإمكان أمام إعصار غضبه الذي تراه في تصاعد مستمر:"أنا أحاول إيجاد حلول وسط "

صرخ ياسين:"دون موافقتي! تتصرفين دون موافقتي أو حتى رغبتي .. ماذا أسمّي هذا؟"

ردت مي مدعية الهدوء:"ثمة رغبة في الخلاص من وضع غير مرغوب فيه "

اندفع ياسين ليحشر نفسه خلف المكتب حيث تجلس لتنتفض هي لقربه المخيف:"أي وضع تقصدين؟!"

واقترب أكثر هامساً بغيظ مخيف:"هذا الوضع"

وجذبها لأحضانه عنوة وفي غمرة غضبه وبلا وعي لثمها

قبلة أودعها كل قهره وغضبه وعذابه الفترة الماضية ..

أذاقها فيها إحساسه المرير بالرفض منها ورغبتها في الهرب

والابتعاد عندما كان موقنا أنها تبادله نفس مشاعره التي لم

تتحرك لأنثى منذ سنوات بعيدة ..

ابتعد دافعا إياها بحنق والتقط أنفاسه في تلاحق فاضح لكل

مشاعره قبل أن يندفع خارجا وهو يهتف فيها بصوت متحشرج:

"أنتِ زوجتي ولا رحيل لكِ لأي مكان دون إذن مني وأنا لن

أعْطي لكِ هذا الإذن .. أبداااا "

****

بكت وبكت .. شلالات من الدموع لم تتوقف حتى أنها

صرفت الممرضة واعتذرت لكل مواعيد جلسات مرضاها

متحججة بوعكة مفاجأة ألمّت بها.. ويا لها من وعكة!

إنها لم تخطئ حين أرادت أن تحل الأمور المعلقة بينهما ..

هي لم تخطئ حينما أرادت إنهاء وضع غير مرغوب فيه على الأقل من ناحيته هو أو من ناحية عمته التي ما ارتضتها زوجة لابنها البكر ..

ما الخطأ الذي ارتكبته ليعاملها بهذا الشكل المهين ويفرض نفسه عليها بهذا الشكل المخزي ؟!"

كانت تتوقع أنه سيفرح حين يرى كل مشاكله قد حُلت وأنه استعاد الشقة كاملة دون أي شركاء حتى يشرع في تجهيز عيادته وخاصة الجزء الخيري فيها كما وعد عمه قبل وفاته ..

هي ما فعلت كل ما فعلته إلا في سبيل رحيلها وقد تركت ذكرى جميلة لدى شخص عزيز لديها، كان يوم غريمها اللدود وأصبح غريمها العزيز ..

ومؤخرا اعترفت لنفسها أنه أصبح بلا منازع حبيبها اللدود، حبيبها العزيز، القريب البعيد، الحاضر الغائب، الحاني القاسي، الذي على قدر ما أسعدها .. على قدر ما أبكاها..

والذي كان ولايزال قادرًا وبكل جدارة على انتزاع ضحكاتها من قلب دموعها وأنّاتها ..

لا تعرف ماذا عليها أن تفعل؟! وكيف ستطالع وجهه وتنظر لعينيه بعدما فعل ؟!

لقد تحطم حاجزا لامرئيا بينهما .. حاجز عجيب لم تدرك وجوده يوما ما .. ولكن مع قبلة العقاب العتاب تلك انهار ذاك الحاجز تماما وأصبحت تراه بشكل مختلف أربكها وزاد من عذابها .. أما كان يكفيها ألم فقدانه كحبيب حتى يلح عليها عذاب فقدانه كزوج ؟!

الفصل التاسع عشر

لم يعد يدرك ماذا يفعل؟!

تلك المجنونة الرعناء التي أوصلته لمرحلة لم يصلها من قبل من الحنق والغضب .. لماذا تفعل كل ذلك ؟!

إنه يريدها .. يريدها كما لم يرد امرأة من قبل !

كيف لم تدرك كل هذا ؟! كيف استطاعت وضع كل هذا جانبا ولم تلتفت له ؟!

ولِمَ رفضت طلبه عندما فاتحتها عمته في رغبته تلك؟!

يكاد يجن .. هو يشعر أنها تبادله حقا كل تلك المشاعر والأحاسيس التي يكنّها لها .. وقبلته لها أكدت له ما كان يشعر .. أصبح واثقا الآن أنها تحبه قدر حبه لها ..

لِمَ يا مي .. لِمَ ؟!

هتف بضيق و هو يدخل البناية حيث شقتهما:

"ستورثني هذه المرأة الجنون بالتأكيد"

وفجأة طالعه لوحة موضوعة بجوار المصعد على مدخل البناية تعلن عن وجود شقة للإيجار في البناية .. ما إن وقع بصره على رقم الشقة حتى استشاط غضبا وأدرك تماما أن لحظة الجنون قد حانت بالفعل .. هل تعرض شقتها للإيجار ؟ لا .. هذا كثير ..جذب اللوحة الإعلانية ومزقها بسخط وحنق ..

اندفع داخل المصعد وما إن وصل لشقتها حتى دخل كالثور الهائج .. لم ينتبه أن نبيلة الممرضة غير متواجدة كعادتها خلف مكتبها وما لفت انتباهه الآن هو صوت مي يعلو بشكل ينذر بالغضب .. اندفع لغرفة الكشف متوقعا أنها تتجادل مع نبيلة .. فتح الباب بعنف مندفعا إليها وفجأة تسمر مكانه وهو يرى ذاك الرجل الأحمق يحاول التهجم على مي بشكل أفقده صوابه فاندفع يجذب الرجل من عنق قميصه وبدأ في تسديد اللكمات لوجهه بثورة عارمة وغضب هادر ..

سقط الرجل أرضا مستسلما ومتوسلا ياسين

فما كان من ياسين إلا أن بدأ في ركله بقدمه بجنون حتى استطاع الرجل الفكاك والهرب مندفعا من تحت أقدامه ..

لحظات من الصمت أعقبت هروب الرجل لم يقطعها سوى صوت تنفس ياسين العالي والتقاطه لأنفاسه بعد تلك المعركة الحامية .. أخيرا رفع نظراته تجاهها فوجدها تقف في ركن الغرفة البعيد ترتجف كالعصفور في ليلة مطيرة

سألها بقلق:"هل أنتِ بخير ؟!

أومأت رأسها إيجابا وهي تحتضن نفسها بذراعيها في محاولة لدعم نفسها كما تفعل دوما .. استكمل كلامه:

"هل تطاول هذا القذر ب..."

لم تمهله ليكمل سؤاله لتؤكد له نافية بإشارة رافضة من رأسها ..

استدار بكليته لمواجهتها وبدأ في التقدم نحوها مما أورثها رعبا جعلها تتقهقر للخلف حتى اصطدمت بالحائط خلفها

وقف أمامها الآن هامساً بحنق من بين أسنانه وقد تذكر لِمَ جاء من الأساس:"ألم أخبركِ ألا تستقبلي المرضى من الرجال؟! أنتِ بالفعل حمقاااء"

همست بضعف وهي تحاول تمالك دموعها:"ياسين .. أرجوك"

قاطعها هاتفاً بحنق:"أرجوك ماذا؟! لا ترجوني .. فقط اخبريني لِمَ أنتِ بهذا الحمق؟! لِمَ تتصرفين بهذه الطريقة المستفزة ؟ لِمَ دوما ترفضين تقربي إليكِ؟!

لِمَ دوما أنتِ بهذا الغباء لكي تدركي أني أريدكِ "

فغرت فاها ورفعت نظراتها إليه لا تستطيع أن تأتي بأي رد فعل إلا التحديق في وجهه والحملقة فيه بنظرات مشدوهة !

اقترب منها وجلس على طرف المكتب مقابلا تماما للمكان الذي تقف فيه هامساً بنبرة متألمة وعاتبة:"لِمَ رفضتني؟!"

استجمعت شتات نفسها وهي لاتزال على دهشتها التي تشملها:

"أنا رفضتك! أي رفض تقصد؟"

تنهد هامساً:"ألم تطلبكِ عمتي للزواج بي؟!"

هتفت متعجبة:"عمتك ! ماذا تقصد؟!"

نظر إليها وتفرَّس في ملامح وجهها المندهشة وكأنها المرة الأولى التي تدرك فيها ذلك لذا أخرج من جيب بنطاله جواله وطلب رقما ما وفتح مكبر الصوت .. عدة رنات حتى هل صوت عمته المريح النبرات تلقي التحية:"مرحبا ياسين .. أفتقدك كثيرا "

هتف:"مرحبا عمتي .. وأنا أيضا افتقدك .. لكن اخبريني .. ما نص الحوار الذي دار بينكِ وبين مي بالضبط؟!"

ضحكت عمته وقالت:"ما بالك يا ياسين؟ إنها المرة الخامسة على ما أظن التي تسألني فيها هذا السؤال! على أية حال سأخبرك .. أنا بدأت معها الحوار بكل ماعانيته أنت في الماضي وأي أتمنى لك بالفعل فتاة جميلة تنجب لك الأطفال وتسعدك لكنها لم تنتظر حتى أكمل حديثي وأخبرها برغبتك في التقدم جدياً للزواج بها بل وجدتها فجأة ترفض بشكل قاطع وتخبرني أن ما بينكما لا يتعدى

علاقة شراكة فرضتها عليكما الظروف وأنها لن تتطور لأي نوع آخر من العلاقات، لكن اخبرني.. أما من جديد؟! ألم تستطع أن تقنعها؟ إنها فتاة رائعة والزوجة التي تمنيتها لك.. أتعرف .. صالح يسألني عنها دوما ويتمنى رؤيتها من جديد"

ابتسم ياسين وهو ينظر لمي ودهشتها المتمثّلة في فمها المفتوح ونظراتها المصدومة غير المصدقة وقال لعمته:

"قريبا جدااا يا عمتي .. لن آتي إلا وهي معي "

هتفت عمته مشجعة:"أحسنت.. هذا هو ابن أخي .. وأنا في انتظاركما معا .. إلى اللقاء"

أغلق ياسين الهاتف وجذبها إليه فجأة لتصبح بين ذراعيه ويطوق خصرها بذراعيه آسرا لها وهامساً بنبرة مشاكسة:

"والآن .. هل تقبل الآنسة مي الرفاعي، المستقلة القوية، الواثقة القادرة والمعتدة بنفسها حد الحماقة .. طلب الزواج من العبد الفقير إلى اللّه ياسين نور الدين .. مع العلم بأنه

شخص طيب وناجح وخفيف الظل وكل ما يخطر ببالك من صفات رائعة بجانب بعض الصفات المبهرة التي من النادر اجتماعها في شخص واحد .. فهو عاشق للطعام، صوت غطيطه يشبه صافرة القطار وأصبح مؤخرا يعشق الملابس الداخلية ذات اللون الوردي"

تساقطت الدموع من عينيها ولم تستطع الرد إلا بشهقات قوية أخرجت كل ما اعتمل بداخلها كل الفترة الماضية من ضغوط و عذابات ..

ضمها لصدره أكثر وهمس بالقرب من أذنيها عابثا:"هل هذه الدموع والشهقات التي تقتلني شفقة عليكِ تعني نعم؟!

أم لا ؟!"

ابتعدت قليلا عن محيط صدره وأومأت برأسها إيجابا ليشاكسها هامساً:"أسمع الرد بصوت عال من فضلكِ"

ضربته بكفها المضمومة على كتفه وهي تهتف بسعادة والدمع لايزال يغرق خديها:"نعم .. بالتأكيد نعم"

ضمها إليه من جديد وهو يتنهد بارتياح حتى اعتصرها بين ذراعيه وأخيرا همس من جديد عابثا:"بما أن العروس قالت نعم .. فلا مانع بالتأكيد من هدية صغيرة للعريس المسكين الذي عذبته العروس حتى كاد يفقد صوابه"

اندفعت تحاول الابتعاد عنه هاتفة بذعر:"ماذا تقصد؟"

جذبها إليه من جديد وضحكته المجلجلة تضاعف دقات قلبها التي وصلت لأعلى من الحد الطبيعي المسموح به وهمس قائلا:"أقصد هذا "

واحتضن وجهها بكفيه وبدأ في تلثيم جبينها وخديها وأرنبة أنفها وأخيرا اقترب من شفتيها لكن بدلا من تقبيلها همس بصوت متحشرج يقطر عشقاً:"لن أفعل .. فلا قدرة لي على ذلك، فَلَو فعلت .. فلا طاقة لي للابتعاد عنكِ بعدها"

همست بنبرة لاواعية:"ولِمَ تبتعد؟!"

قهقه مازحاً لجرأتها غير المعتادة:"حتى أعد للعروس أجمل عرس يمكن أن تحظى به "

همست مشدوهة:"عرس! ولكننا أمام الناس كلها متزوجين بالفعل!"

هتف:"لا يعنيني الناس .. يعنيني أنتِ .. وفرحتكِ وسعادتكِ لكن طالما يهمك أمر الناس فدعي الأمر لي"

ثم هتف مازحاً:"هيا استعيدي مي القديمة للحظات واطرديني من هنا فورا .. فأنا لا أعرف ما يمكن أن أفعله لو ظللت أمامكِ بهذه النظرات الشقية المتطلبة التي تطل من عينيكِ "

انفجرت ضاحكة:"عيناي أنا المتطلبة! حسنا لا بأس"

ثم غيرت نبرة صوتها لنبرة آمرة وهتفت:"اخرج الآن وفورا"

تحرك بتثاقل وابتسامة مرحة على شفتيه وما إن هم بالخروج حتى استدار لها نص استدارة وهتف قائلا:"مي!"

ونظر إليها نظرات راغبة في البقاء بالقرب منها للأبد ..

همست خجلى:"ياسين .. اذهب الآن .. وموعدنا يوم الزفاف .. اسرع في تحضيره"

اندفع في اتجاه شقته صارخاً:"في أقرب فرصة ..

فما عدت قادرا على البقاء دون طَعَامِك الرائع .. معدتي

تصحرت "

تبعته مي وهو خارج من باب شقتها لتقهقه وهي تغلق الباب

خلفه بسرعة:"أهاا .. هذا إذن سبب عرضك المغري ..

حسنا اعتبر كل ما قيل سابقا لاغ "

وأغلقت الباب بصفقة قوية كعادتها قبل أن يعاود أدراجه

ويحاول إقناعها من جديد ..بطريقته الخاصة "

الفصل العشرون

هتفت مي مازحة:"بأي رشوة وعدكما ياسين حتى تفعلا بصديقتكما المسكينة هذا ؟!"

انفجرت نادية ضاحكة وهي تستدير من المقعد الأمامي في سيارة زوجها الدكتور خالد الذي يتولى القيادة ويركز في الطريق حتى أنه لم ينتبه لمزاح مي بينما ردت زوجته:

"صدقيني ولا أي رشوة في الموضوع ..إنما هو اتفاق رجال لا دخل لي فيه .. ياسين طلب وخالد ينفذ"

ثم انفجرت ضاحكة من جديد هامسة لمي:"لا أعرف .. قلبي يحدثني بأنها خطة للتخلص منا سويا"

قهقهت مي بدورها وهي تجلس في منتصف الأريكة الخلفية لعربة الدكتور خالد بثوب زفافها الذي ضاقت به الأريكة

ثم هتفت:"أقسم بالله هذا لم يحدث لعروس من قبل .. لا تعرف أين يقام حفل زفافها وكأنه سر حربي "

أخيرا هتف خالد:"على أية حال لقد شارفنا على الوصول"

هتفت كل من مي ونادية في آن واحد:"الوصول إلى أين؟ اعترف ؟!"

انفجر خالد ضاحكاً:"ليتني ما تكلمت ولا همست حتى بحرف .. سأعامل الآن معاملة معتقلي جوانتانامو لأقر واعترف بالحقيقية "

هتفت نادية مازحة:"بما أنك تعلم ذلك .. إذن وفّر على نفسك عذاب ما قبل الاعتراف .. واعترف فورا"

هتف خالد بسعادة:"لن أحتاج للاعتراف فها قد وصلنا"

وأشار بكفه وهو يدخل لممر ترابي طويل أدركته مي على الفور .. قلبها كان يحدثها طول الطريق باتجاه السيارة إلا أنها لم تتبين الطريق جيدا لأن الليل خيم بالفعل .. إنه الطريق الترابي الذي قطعته مع ياسين للوصول لبيت عمته..

وصلت في تلك اللحظة أمام البيت و فجأة ..طالعتها الأنوار والزينات التي تكسو البيت كغلالة من النجوم الملونة

ولم تنتبه إلى ذاك القادم من الجانب الآخر بحلته السوداء الأنيقة ورباط عنقه القرمزي إلا وهو يفتح باب السيارة لها وينحني ليمد كفه ليدها ..

تسارعت ضربات قلبها حتى كاد يقفز من بين حنايا صدرها وهي تمد كفها لتحتضنها كفه وهو يجذبها خارج السيارة وما إن طلت بثوبها الأبيض الذي يتلألأ في روعة حتى أعطى إشارة ما ليبدأ عزف الموسيقى ويندفع أشخاص لم تتبينهم من داخل المنزل ..

صرخت في سعادة عندما تبينت سماح أختها تندفع إليها لتحتضنها بفرحة ومن ورائها أطفالها وأخيرا زوجها المعلم نعيم الذي اندفع يحتضن ياسين بسعادة وفرحة غامرة وبدأ في التمايل بعصا على دقات الطبول والمزامير..

سار ياسين وبجانبه مي متأبطة ذراعه وفرحتها لا يمكن وصفها وخاصة عندما صعدا درجات السلم الأمامية لتستقبلهما عمة ياسين هناء وابنها صالح بالقبلات والأحضان

والدموع التي انهمرت من عينيّ هناء وهي تحتضن ياسين بحبور وتقبل وجنتي مي في حنو أم حقيقية يوم زفاف ولدها البكر..

دخلوا جميعا إلى ردهة الدار الواسعة وترك ياسين مي بين النساء وخرج ليستقبل الرجال من أهل القرية ..

و بدأ الاحتفال الحقيقي .. فنهضت النساء بما فيهن عمة ياسين وأخت مي سماح لتتبارى كل منهن في تقديم فنون الفرح والرقص على نغمات الطبول والأغاني الصادحة ..

حتى مي نفسها لم تتركها النساء وجذبنها لمنتصف الدائرة المعدة للرقص وبدأت في التمايل معهن وإظهار فرحتها ..

وأخيرا اندفعت نادية التي كانت تتحجج بعدم معرفتها بفنون الرقص لتتمايل مع صديقتها في سعادة جاذبة إياها لأحضانها والدموع تكلل مآقيها ..

كانت المباراة الراقصة حامية الوطيس ولم تكن عند الرجال بأقل ضراوة وخاصة عندما أصرّ المعلم نعيم

على الرقص بالعصا ومنافسة ياسين الذي لم يكذب خبراً فخلع سترته وعلت الصيحات المشجعة بين الرجال .. وبدأت المباراة .. وتنافس الرجال حتى انتهى النزال الودي بفوز العريس مجاملة كالعادة و هلل الرجال في سعادة ..

بدأ الجميع في الاستراحة ووُضِعت صواني الطعام في الداخل والخارج .. وما إن انتهى الجميع وبدأت حمى الموسيقى تعلو من جديد حتى تفاجأ النساء بدخول ياسين متنحنحا يستأذن في الدخول وتوجه مباشرة لعروسه وحملها وسط قهقهات النساء وغمزاتهن وصدمة مي التي تعلقت برقبته وهي تنظر إليه في صدمة مستفسرة عما يحدث ..

اندفع يعتلي بها الدرج تصاحبهما الزغاريد المدوية من كل اتجاه وصوت الموسيقى بالخارج يزداد علوا و صخبا ..

هتفت مي:"ياسين ماذا تفعل؟! أكاد أموت خجلاً وإحراجا من نظرات و غمزات النساء"

هتف بالقرب من أذنيها وهو لايزال يعتلي الدرج:

"لا دخل لي بالنساء وغمزاتهن ولا تجعلي عقلكِ يظن بكِ الظنون، كل ما هنالك أني جائع حد المجاعة"

هتفت بسخط:"انزلني حالا ياسين، تنتشلني من بين النساء بتلك الطريقة لأن معدتك تزمجر كعادتها .. لِمَ لم تأكل مع الرجال بالأسفل؟"

ضحك وقد قرر اغاظتها:"أأكل من طعام الضيوف وأترك تلك الوليمة التي أعدتها لأجلنا عمتي؟!"

صرخت مي:"ياسين .. انزلني الآن وفورا"

قرر أن يستفزها بحق فهتف وهو يقف الآن أمام باب حجرتهما:

"بالطبع سأنزلكِ يا زوجتي العزيزة وإلا كيف سآكل؟"

صرخت مي:"لاا .. هذا كثير .. هذا ..."

لم تكتمل اعتراضاتها وقد فتح ياسين باب غرفتهما وخط بداخلها ثم أنزلها برقة وتركها تتطلع مبهورة لتلك الغرفة التي كانت تحفظ تفاصيلها عن ظهر قلب من كثرة ما طالعتها طول الليلة التي قضتها فيها منذ فترة ليست

بالطويلة بدون أن يغمض لها جفن ..

جالت بنظرة مبهورة وشهقة خافتة لأركان الغرفة التي تحولت لجنة مصغرة .. فذاك الحمام الجانبي للحجرة أصبح جزء منها وجدران الغرفة اتخذت لونا ورديا رقيقا هو المفضل لديها كما يعرف أما السرير فقد ظل على حاله هو نفس السرير المعدني ذو اللون النحاسي والأعمدة المتوسطة الطول والتي تغطيها الآن غلالات رقيقة من الشيفون الأبيض والوردي كستائر رقيقة تحجب محيط السرير عن كل ما يحيطه وكأنه عالم منفصل بحد ذاته .. حتى النوافذ تم تزيينها ووضع على مداخلها صواعق للناموس .. وكم أسعدها ذلك !

انتهت من جولتها السريعة لتعود بنظراتها التي تحمل عشق الدنيا لزوجها الذي وقف ينتظر ردة فعلها بفارغ الصبر .. استدارت لتواجهه بكليتها واقتربت منه في سعادة غامرة وهي تهمس بعشق:"هل كل هذا من أجلب ؟!"

أومأ وهو يجذبها لمحيط ذراعيه:"بالتأكيد .. هذا أقل

بكثير مما كنت أتمنى منحه إياكِ"

ثم همس برقة:"مي .. "

ورفع ذقنها بأطراف أصابعه لتقابل نظراتها نظراته المتقدة

عشقاً ليستطرد بصوت متحشرج:"أحبكِ "

كان جوابها دامعا .. رفعها قليلا حتى قبل وجنتيها النديتين

مما سمح لها بأن تطوق رقبته بذراعيها وتهمس في خجل:

"وأنا أيضا "

شاغبها متسائلا:"وأنتِ أيضا ماذا ؟!"

همست بالقرب من أذنيه:"وأنا أيضا جائعة "

وانفجرت ضاحكة عندما رأت تعبيرات الصدمة التي ارتسمت

على وجهه وفجأة انفجر مقهقها بدوره وهو يضمها لصدره في

تملك معلنا للعالم أجمع أنها حبيبته ..

رفعها بين ذراعيه واضعا إياها على السرير المعدني الذي

تأرجح قليلا من ثقلهما عندما اعتلاه ياسين فهتفت

بذعر:"ياسين .. أشعر أن هذا الفراش سينهار بنَا في أي لحظة وسنجد أنفسنا في قلب البهو وسط دائرة النسوة الراقصات "

هتف ياسين ضاحكاً:"لا .. عار عليكِ .. هذا سرير جدي النحاسي والذي ولد عليه أبي وعمتي .. هذا فراش كله بركة وقد اخترته خصيصا لأنه عال عن الأرض حتى لا تستطيعي صعوده أو الهبوط منه إلا بمساعدتي"

ضحكت بسعادة:"إذن ..إنها خطة لاعتقالي وأسري ها هنا على فراش جدك ؟!"

جذبها بين ذراعيه بشوق:"ويا له من اعتقال!

وما أروعه من أسر !!

****

استيقظت مع نسمات الفجر الأولى تحاول أن تتمطى كعادتها في فراشها لكن تفاجأت بوجود جسد ضخم يأسرها .. رفرفت بجفونها وقد أدركت أنها بين ذراعيّ ياسين .. زوجها ..

ابتسمت لذكريات الليلة الماضية وبدأت تخرج من بين ذراعيه وتنزل درجات السلم الخشبي الخاص بذاك السرير النحاسي العالي عن الأرض قرابة المتر .. وتسللت بهدوء بعد أن وضعت مئزرها وغطاء رأسها إلى الشرفة الصغيرة التي فتحتها تتطلع منها لتلك الشمس الوليدة التي يبزغ شعاعها منيراً الأفق البعيد..

تنهدت براحة وابتسامة رضا تكلل شفتيها تتسع تدريجيا كلما تذكرت مزاح ياسين وإصراره على تناول كل ما بصينية الطعام وكأنه ينتقم ..

فجأة جفلت عندما وجدت ذراعيه تحيطانها من الخلف ويهمس لها:"كيف استطعتِ النزول من البرج النحاسي؟ لقد اخترت ذاك السرير مخصوص حتى لا تستطيعي النزول منه والابتعاد عني"

ضحكت وهي تدفع رأسها للخلف لتقابل نظراته وتقول مغيظة إياه:"عثرت على السلم الخاص بالسرير ووضعته على جانب

نزولي من الفراش "

ابتسم لها وقبل جبينها ثم تساءل:"ما الذي أيقظكِ باكرا هكذا ؟"

أشارت للشمس البازغة من بعيد هامسة:"وددت أن أرى شمس أول يوم لنا في حياتنا الجديدة معا .. وأتمنى من اللّه أن يجعلها حياة سعيدة مليئة بالفرحة "

أمّن على دعائها:"آمين "

سمعها تدندن بحبور كلمات أغنية ريفية قديمة لطالما سمعها وأحبها لكنه عشقها الآن وهو يسمعها منها:

"طلعت يا ما احلى نورها

شمس الشموسة ..

يا اللاه بينا نملى و نحلب

لبن الجاموسة "

همس عابثا:"الأغنية المناسبة في الوقت المناسب"

ابتسمت متسائلة:"ماذا تقصد؟"

قال بنبرة ساخرة:"لا تحتاج سؤال يا زوجتب الذكية .. لبن الجاموسة في موعده تماما .. فأنا أتضور جوعا والمخبوزات الريفية التي تأتيني رائحتها الآن يسيل لها لعابي"

قهقهت مي غير قادرة على تمالك نفسها حتى دمعت عيناها وأخيرا هتفت:"ياسين .. أنت غير ممكن .. أنت مجنون بحق"

هتف ياسين مدعيا الحنق:"مجنون .. أنا مجنون؟! حسنا"

وفجأة رفعها عن الأرض بين ذراعيه واندفع بها لداخل الحجرة صرخت متفاجئة وهتفت ضاحكة وقد قررت استفزازه كما يفعل معها:"ماذا تفعل .. يا مجنون ؟"

دفع الغلالة الشيفونية بعيدا وألقى بها على الفراش بغيظ مفتعل ثم قفز بجوارها وهو يهمس لها بعشق:"سأريكِ كيف يكون الجنون"

ابتسمت بسعادة وهب تطوق عنقه بذراعيها هامسة بشوق:"ما أجمل الجنون!"

الخاتمة

رفرفت رموشها عدة مرات حتى استيقظت من أحلامها العديدة والمختلطة التي راودتها في فترة نعاسها التي لا تعلم كم طالت ..

أدارت وجهها ليطالعها وجه ياسين الذي اندفع ملهوفاً ما إن أيقن باستيقاظها من غفوتها ...

تلك الغفوة التي راحت فيها بعد الحقنة المخدرة التي حقنها بها طبيب التخدير وهي تمسك كف ياسين وتنظر إليه برعب وخوف وهو يربت على خدها مطمئناً حتى غابت عن الوعي و راحت في عالم آخر ..

همست بصوت متحشرج وياسين يلثم جبينها بمحبة:

"أين هو .. أو هي ؟"

ابتسم ياسين بحنو:"سآخذكِ إلى هناك "

همست بذعر:"هناك .. أين؟"

ربت على كفها مطمئناً:"لا تقلقي .. إنه في الحضانة مع باقي الأطفال "

أكدت بإصرار وهي تحاول النهوض متألمة في وجع حقيقي:

"أريد أن أذهب إليه .. الآن"

هتف ياسين وهو يحتضنها بين ذراعيه:"حاضر .. سآخذكِ إلى هناك "

وحملها بحذر وحرص وسار بها ذاك الرواق الطويل حتى وقف أمام حائط زجاجي وهمس لها:"انظري "

رفعت رأسها عن صدره بوهن ونظرت باتجاه الحاجز الزجاجي عيناها تتلهف لتسقط على فلذة كبدها الذي ما تمنت أغلى منه هدية من اللّه .. رفعت رأسها تتساءل:"أيهم يا ياسين ابني؟"

ابتسم ياسين مفتخرا:"جميعهم "

نظرت إليه بوهن:"ياسين .. لا طاقة لي لمزاحك .. رجاءً أين ولدي ؟"

حاول أن يكتم ضحكاته حتى لا يهتز جسدها

فلا تتوجع إثر جرح الولادة وهتف منتشياً:"أقسم لكِ ..

الثلاثة هم أبناءنا"

أشار برأسه لأحدهم هامساً:"هذا الأول هناك هو حسن ..

وهذا الذي يليه هو محمود والثالثة.."

هتفت بسعادة وقد نسيت ألمها:"الثالثة !"

همس بفخر:"نعم .. فهي فتاة .. إنها فاطمة"

دمعت عيناها في سعادة غير مصدقة .. ورفعت رأسها لياسين

الذي مازال يحملها بمحبة بين ذراعيه:"لِمَ لم تخبرني أنهم

ثلاثة أجنة عندما كنت تتابع الحمل؟"

ابتسم هامساً:"اشفقت عليكِ .. خفت أن يزداد قلقكِ .. فأنت

كنتِ تظنين أنكِ تحملين طفلا واحدا وكنتِ قمة في

التوتر وأوصلتني لحافة الجنون ..فما بالكِ لو كنتِ تعلمين

أنكِ تحملين ثلاثة لكنت أنا الآن أحد رواد عنبر العقلاء في

مستشفى الأمراض العصبية"

حاولت أن تضحك لكنها لم تستطع وكتمت ضحكاتها متألمة وهي تكز على أسنانها ..

لثم ياسين جبينها بسعادة هامساً:"أحبكِ كثيرا يا عدوتي اللدودة وجارتي العزيزة وزوجتي الرائعة وأم أطفالي"

دفنت رأسها في صدره وهي تهمس في عشق لانهائي:

"وأنا أحبك يا عمري أكثر مما تتخيل".

****

"ياااااسين .. صرخت مي في ثورة عارمة وهي تفتح باب الثلاجة لتقف مشدوهة كالعادة ولا تجد طبقا واحدا من الأرز باللبن بداخلها"

صرخت من جديد وهي تندفع باحثة عنه .. كل ما كانت تريده هو طبق واحد تطعمه لصغاره..

إنها تخاف أن يستيقظ جائعا يوما ما فيأكلهم على سبيل التسلية قبل الوجبة الرئيسيّة ..

صرخت للمرة الثالثة:"ياااسين .. أين أنت؟"

لقد اختفى هو والأولاد تماما ..

هل يكون أكلهم بالفعل ؟!

لا تجد لهم أثرا .. قلبت عليهم الشقة رأسا على عقب وأخيرا سمعت صوتا يأتيها من أحد الأركان .. تسللت بهدوء لتفاجأهم جميعا وهم يختبئون تحت طاولة الطعام الكبيرة وقد أخفاهم الغطاء الكبير المنسدل للطاولة عن عيونها ..

انحنت وهتفت بغيظ:"هاااا لقد وجدتكم ..

ماذا تفعلون ؟!"

وجدتهم جميعا بما فيهم ياسين يجلسوا في أريحية بفانلاتهم الداخلية وسراويلهم القصيرة حتى فاطمة .. ويقلدون والدهم ويضعون أكفهم على بطونهم دلالة الامتلاء وأمامهم صحون الأرز باللبن فارغة تماما ..

هدأت ثورتها عندما أدركت أن ياسين قد أطعم الصغار فهتفت بغضب مصطنع:"أكلتم الأطباق كلها ولم تتركوا لماما طبقا واحدا لتتذوقه؟"

هتف حسن الأكبر بين الثلاثة البالغين الثالثة من العمر:"بابا تذوقهم جميعا"

انفجر ياسين ضاحكاً على وشاية ولده البكر:"نعم .. تذوقتهم جميعا "

هتفت مي ضاحكة:"يبدو أني سأقضي عمري كله في المطبخ أصنع الأرز باللبن حتى يتذوقه والدك بالأطباق .. سأصنعه بالقدور بعد ذلك"

هتف محمود الذي يشبه ياسين كثيرا خاصة في بطنه المنتفخة تلك:"نعم ..سيكون هذا رائعا"

قهقه الجميع و بدأوا في الخروج من تحت الطاولة ..

نظرت لهم مي وهى تهز رأسها ييأس هاتفة بياسين:

"ألا يوجد أمل فيك مطلقا؟! لِمَ كلما ألبست الأولاد ملابسهم خلعتها ليظلوا هكذا؟ لِمَ تتركهم بملابسهم الداخلية ياسين .. أنهم أشبه بطرزان ؟"

قهقه ياسين لتشبيهها وهو يغيظها:

"تقصدين أولاد طرزان، فمنذ متى ارتديت ما يسترني بالمنزل .. إنهم أولاد أبيهم"

واقترب منها مغازلا:"أبيهم الذي يعشق شيتا حد الجنون"

هتفت بصدمة وهو يقهقه:"شيتا؟! هل هذا ما أناله منك ؟ لا غزل .. لا أرز باللبن .. و في الأخير أصبح شيتا .. أنا"

اقترب منها وهمس في أذنيها:"أنتِ رائعة .. أنتِ حبيبتي"

وأخرج من خلف ظهره طبق من الأرز باللبن وقدمه لها وهو يستكمل همسه:"لا أستطيع أن أنساكِ .. ها هو طبق الأرز باللبن وبعض الغزل العفيف"

ثم غمز بعينيه عابثا:"حتى ينام الأولاد ويبدأ الغزل الصريح"

قهقهت وهي تتناول طبق الأرز باللبن من يده وتبدأ في تناوله باستمتاع وهتفت تشير للأطفال وشقاوتهم المعتادة وصراخهم

"إن ناموا يا زوجي العزيز قبل أن ينطلق صفير غطيطك"

قهقه حتى دمعت عيناه واندفع يشارك الأطفال لهوهم وشجاراتهم المعتادة وهي تتطلع إليهم بمحبة وعشق وقد أيقنت أن هذه جنتها على الأرض .

تمت بحمد الله